رواية

# حبر على ورق

إيمان عبد الواحد

# حبر على ورق

## بقلم /

## إيمان عبد الواحد

# ***الفصل الأول***

انطلق فهمي الجبلاوي بسيارته على طريق اسكندرية – القاهرة الصحراوي و هو يتحدث في هاتفه الجوال مرة بعد مرة ؛ اقترب الوقت من منتصف الليل و يرغب في أن يعود بسرعة إلى قصر العائلة في المنصورية فقد كان عليه أن يكون هناك الآن ؛ يعرف أن والديه يشعران بالقلق دوماً في غيابه و لا يحبان قضاءه الليل خارج القصر بل إنهما يكرهان أسفاره على كثرتها من الأساس منذ مات أخيه في حادث اختناق .

كان فهمي يحاول دوماً إرضاء والديه فهما لم يعد لهما من يرعاهما غيره خاصةً بعد وفاة شقيقه فريد .. كانت خسارتهما بفقده فادحة حتى أن والده قد أصيب بأزمة قلبية بالكاد قد تعافى منها أما أمه فهي مسكينة ظلت تبكي حتى فقدت بصرها مع الوقت و لا زالت لا تكف عن البكاء .

فهمي شاب في الثلاثين من عمره ؛ كان يدرس هندسة الاتصالات في أمريكا لكنه اضطر لترك دراسته و العودة إلى القاهرة قبل حصوله على الدكتوراة و ذلك بسبب وفاة أخيه و مرض أبيه إذ لم يعد للعائلة من يتحمل مسئوليتها و يدير ثروتها سواه ..

و على الرغم من أنه لم يكن يرغب من قبل في أن يتخلَ عن دراسته لأي سبب و كان يعتمد على شقيقه في أنه سيكون سند والدهما و يده اليمين في إدارة مجموعته الاستثمارية المهولة لكنه في النهاية وجد لزاماً عليه أن يجلس على مقعد والده في إدارة المجموعة و يتحمل المسئولية مكانه .

كان الجميع يتوقع أن يفشل فهمي فشلاً ذريعاً و أن تتفتت المجموعة و تضيع قوتها و نفوذها الاقتصادي و تفقد العائلة جزءاً كبيراً من ثروتها لكن فهمي جاء على غير سوء ظن الناس و حتى والده به و استطاع أن يدير الأمور بيد من حديد حتى أنه بعد أربع سنوات فحسب من توليه السلطة بدأ في توسيع امبراطوريته و بسط نفوذه على مدى أوسع و أرسخ .. و كان هذا يدهشه هو شخصياً قبل الجميع .

هاتفه الجوال لا يتوقف عن الرنين حتى في هذه الساعة المتأخرة ؛ أتاه عدة اتصالات تخص سير العمل في المجموعة و مكالمة من والده و ثلاثة من أمه و مكالمة واحدة من نيفين .. فكر في نيفين .. هي ابنة رجل الأعمال صلاح السيوطي شريك والده في كثير من صفقاته ؛ انتقلت إليها ملكية شركات والدها بالكامل عندما تقلد منصباً وزارياً فقد كانت ابنته الوحيدة و تنازل طوعاً عن كل ممتلكاته لها و منذ هذا الوقت و هي تحاول السيطرة على أعمال

والدها و إدارتها بمفردها كما تحاول مطاردة فهمي طوال الوقت بعاطفة مزيفة يعرف فهمي جيداً أنها مجرد شبكة كبيرة ترغب بها نيفين في اصطياده فحسب .

كان فهمي يتحدث في هاتفه عندما انفجر إطار سيارة قادمة بسرعة في الإتجاه المعاكس ؛ كان من الواضح أن سائق السيارة سكيراً أو مذعوراً فقد ضغط على مكابحها بقوة جعلتها تندفع بسرعة في إتجاه سيارة فهمي و السيارات التي تسير بجواره حتى أنها طارت من أمام سيارة فهمي قبل أن تتدحرج على الأرض و تتسبب في تدافع عدد من السيارات و تصادمها ..

علت أصوات الصريخ ممزوجة بأصوات صرير عجلات السيارات و أصوات أبواق النفير لكن فهمي حاول أن يتجاهل كم كان هذا الصوت مزعجاً و هو يحاول السيطرة على سيارته التي ارتطمت بسيارة أخرى أخرجتها عن الطريق و جعلتها تنقلب رأساً على عقب .

لا يدري فهمي كم ظل فاقداً للوعي لكنه فتح عيونه فجأة ليجد نفسه راقداً على فراشٍ في المستشفى و أمه بجوار فراشه تبكي بحرقة

بينما والده يصلي في زاوية من الغرفة و هو يبتهل في حرارة و الدموع تغرق وجهه ..

حاول فهمي أن يعتدل جالساً لكنه كان يشعر بالألم في أنحاء متفرقة من جسده لذا استرخى في فراشه و رفع صوته بالنداء على أمه التي انتفضت و هي لا تصدق أنها تسمع صوته أخيراً .

مدت الأم يدها لتتحسسه في لهفة فالتقط فهمي كفها و قبلها و هو يهتف :

- اطمئني يا أمي فأنا بخير .

هتفت زهيرة في لهفة :

- يا قلب أمك .... لا أصدق أنك قد عدت لي أخيراً .. كدت أن أفقدك كما فقدت أخيك – رحمه الله - .. لا أدري كيف كان من الممكن أن أتحمل حسرة القلب مرة أخرى .. هل تتألم ؟ .. هل أنت بخير ؟ .

كانت إصابته طفيفة لحسن الحظ ؛ و لم تزد عن بضع كدمات في جسده و إغماءة طويلة بسبب إرتجاج عنيف في المخ ؛ أصر فؤاد الجبلاوي على أن يظل ابنه في

المستشفى على مدى يومين ليخضع لكل الفحوص الممكنة قبل أن يسمح له بالعودة إلى القصر .

كان فهمي يرى أن الحادث الذي تعرض له عادياً و لم تكن لديه مشكلة في أن يعود لمزاولة عمله و حياته كما كان في السابق و لكن فؤاد كان له رأيٌ آخر و قد قرر أن يطرق الحديد و هو ساخن و يصارح ابنه به بلا تردد لذا عندما كان فهمي يتناول فطوره قبل أن يذهب إلى مكتبه و يستأنف أعماله فوجئ بوالده يهتف :

- يجب أن تتزوج بسرعة .

ابتسم فهمي و هتف :

- و لما السرعة ؟ .. لم أجد بعد المرأة التي تخطف قلبي و توقعني في الأسر كما أنني ليس لديّ وقت حالياً للبحث عنها .. لديّ الكثير من الأعمال المعلقة و الخطط المستقبلية يا أبي .

هتفت زهيرة في لهفة :

- والدك لا يمزح يا فهمي .. آن الأوان لكي تستقر و نسعد بأولادك .

بينما هتف فؤاد في حزم :

- الزواج بالنسبة لك و لنا الآن ليس رفاهية أو حرية اختيار .. أنت مجبر على أن تختار البنت التي ستتزوجها و بسرعة لأن هذه مسئوليتك تجاهنا و تجاه اسم عائلتك و ثروتها .. تماماً كمسئوليتك عن إدارة المجموعة الاستثمارية و التي كنت جديراً بها على نحو لم أتوقعه و لم يتوقعه أحد .. الحادث الذي مررت به كان إنذاراً جلياً و يجب أن ننتبه جميعاً له .. بعد وفاة أخيك بدون أن يتزوج أو ينجب أصبحت أنت الأمل الأخير لهذه العائلة لكي يمتد ذكرها و يصبح لها وريث .. ولي العهد الذي سيحمل اسمي و اسمك و يرث كل هذه الثروة و يحمل مسئوليتها من بعدك .. و أنا لم أعد مستعداً لإضاعة الوقت قبل أن أطمئن على مستقبل العائلة .

هتف فهمي في ضيق :

- تريد أن تطمئن على اسمك و ثروتك مرة أخرى ؟! .. ضحيت بطموحي و دراستي و مستقبلي من قبل تحت نفس اللافتة يا أبي ؛ فلماذا تظن أنني قد أفعل هذا مرتين ؟

هب فؤاد واقفاً و هو يهتف :

- لأن هذا هو واجبك .. مسئوليتك نحوي و نحو عائلتك .. أنا لا أطلب منك المستحيل و لا أحملك فوق طاقتك و لن

أفرض عليك الزوجة التي ستختارها .. كل ما يهمني هو أن تكون من مستوانا و جديرة بأن تكون أماً لأحفادي .. سأسمح لك باختيار أية فتاة ترغب بها طالما تتمتع بهذا الشرط و عليك أن تحدد خيارك هذا بسرعة لأنني أرغب في إتمام الزواج في أقرب وقت و بمنتهى السرعة .

هتفت زهيرة في حماس :

- و ماذا عن نيفين ؟ .. هي مغرمة بك يا فهمي و لا تخفي هذا كما أنها ممتازة من كل الوجوه .. ما رأيك يا فؤاد ؟

جلس فؤاد و التقط قدح القهوة و هو يهتف في استرخاء :

- اختيار ممتاز .. على الأقل ستضع يدك على امبراطورية السيوطي و ستضمن تحالف مصالحه مع مصالحنا تحت رايتك و في هذا مكسب لا يمكن تجاهله .

توقف فهمي عن تناول طعامه و هتف في حدة :

- من الواضح أن حرية الاختيار التي تمنحها لي مرهونة باسم واحد اتفقتما عليه مسبقاً .. من قال لكما أنني أقبل بأن تكون نيفين هذه زوجتي ؟ .. هي مجرد فتاة مغرورة فارغة العقل تحاول أن تلعب دوراً ليس لها و ستهدم كل ما بناه أبوها إذا لم يوقفها عند حدها قبل فوات الأوان .

ابتسم فؤاد و هتف ثقة :

- والدها يعرف هذا جيداً لذا لا مانع لديه في أن يترك لك زمام الأمور كلها بمجرد أن توقع على عقد الزواج .. تكلمت معه و اتفقنا على كل التفاصيل بكل وضوح و المحامون الآن يعدون عقود الدمج بين مجموعتنا و مجموعته تحت لواءك طبعاً .

احتقن وجه فهمي و هتف في ثورة :

- أنت عقدت صفقة تجارية يا أبي .. من أعطاك الحق في أن تجعلني جزءاً من عقودك و صفقاتك ؟ .. أنا لن أسمح أبداً ...

قاطعه فؤاد هاتفاً في حزم :

- أنت جزء من ثروتي و ممتلكاتي و ستحترم كلمتي و تخضع لإرادتي و توقع العقدين معاً بعد أسبوعين من الآن .. عقد الشراكة و عقد الزواج .. و هذا الموضوع محسوم تماماً من الآن و لن يخضع للنقاش .

# ***الفصل الثانـي***

كان فهمي مستغرقاً في إدارة اجتماع عمل مهم عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول في إصرار و بإلحاح شديد ؛ تجاهله عدة مرات و حاول استكمال اجتماعه لكن نيفين لم تتوقف عن الاتصال به لذا التقط الهاتف و هتف في عصبية :

- ماذا تريدين ؟

أتاه صوت نيفين يهتف في حدة :

- أريد الذهاب إلى حفل عيد ميلاد سناء ؛ هل تعرف منذ متى و أنا أنتظرك ؟

هتف فهمي في فراغ صبر :

- قلت لكِ من قبل أنني لا أذهب إلى حفلات أعياد ميلاد أشخاص لا أعرفهم أصلاً كما أنني ليس لديّ وقت لأضيعه في هذه التفاهات .. لديّ اجتماع مهم يا نيفين و أنتِ تشتتين تفكيري .. أرجوكِ كفي عما تفعلين و توقفي عن إزعاجي .

هتفت نيفين في ثورة :

- أنا أهم من كل اجتماعاتك .. هل تفهم ؟ .. ثم إنك تتجاهل أصدقائي و تصر على إحراجي في كل مناسبة و بدون مناسبة ؛ و أنا لن أسمح لك بأن تعاملني هكذا مرة أخرى

.. أنت ستأتي يا فهمي و ستذهب إلى الحفل معي ؟ .. و سنشرب و نرقص حتى الصباح .

قطع فهمي الاتصال دون أن يكلف نفسه عناء الرد عليها فقذفت نيفين الهاتف نحو الحائط فارتطم به و سقط على الأرض محطماً .. كان قد مر على زواجها من فهمي ستة أشهر كاملة لكن لا يزال كلٌ منهما يعيش في وادٍ و الآخر في وادٍ آخر تماماً ..

لا تنكر أن فهمي قد حمل عنها حملاً ثقيلاً عندما دمج ممتلكاتها في ممتلكاته و أن والدها سعيد بهذا الدمج لأنه يرى أن فهمي رجل أعمال بارع و يحقق أرباحاً خيالية لهما معاً لكنها هي لم تكن سعيدة إذ لم يكن لديه مساحة كافية لها حتى أنها باتت تشعر بأنه يعاملها ببرود و يتجاهل زواجهما معظم الوقت .

التقطت نيفين الهاتف مرة أخرى و حاولت إصلاحه لكنها لم تفلح فألقته مرة أخرى ؛ التقطت سماعة الهاتف الأرضي و اتصلت على رقم عاطف الذي أسرع يتلقى الاتصال هاتفاً في سخرية :

- لا تقولي أنه تملص منكِ هذه المرة أيضاً و لن يذهب إلى الحفل .

هتفت في ضيق :

- و ستذهب معي ككل مرة فأنا لن أضيع حفلاً رائعاً من أجل ذلك التافه .. أنت كنت ستذهب على كل حال ؛ أليس كذلك ؟

هتف عاطف مبتسماً :

- طبعاً .. كؤوس مجانية و رقص حتى الصباح و في أفخر ملهى في البلد .. من الأحمق الذي يهدر هذه الفرصة ؟

انطلقت نيفين بسيارتها إلى حيث يقيم عاطف في شقة بمفرده منذ استقل عن عمها و قرر أن يقيم بعيداً عنه حتى يخلص من توبيخه المستمر له على فشله في كل شيء ابتداءاً من الشهادة الجامعية التي لم يحصل عليها و مروراً بإدارة أعمال والده و التي أخفق بها و انتهاءاً بعدم الزواج من بنت عمه الوحيدة و التي تمتلك ثروة مهولة و ذلك لأن عمه كان يدرك أي فاشلٍ هو و كان من المستحيل أن يعتمد عليه في إدارة أعماله .

ذهبت نيفين مع عاطف إلى الحفل كما هي العادة ؛ ليس منذ زواجها من فهمي فحسب و إنما من قبل هذا بكثير .. كان عاطف بالنسبة لها صديقاً مقرباً يشاركها في الميول و أسلوب العيش و طريقة التفكير كما أنه كان كتاباً مفتوحاً

بالنسبة لها تقرأ سطوره بسهولة لا ذلك اللغز الذي تزوجت منه و هي لا تعرف كيف تفهمه أو تفك رموزه .

كانت نيفين ترقص في استمتاع بعد أن شربت الكثير من الخمر عندما ضمها عاطف إلى صدره و هو يهتف :

- كم أنتِ جميلة !! .. لا أفهم كيف يهدر ذلك الأحمق فرصه في أن يكون معكِ .

ابتسمت نيفين و هتفت و هي تترنح :

- أحمق و أعمى .. الحياة معه باردة و سخيفة و لا معنى لها .. سامحه الله والدي فهو الذي رماني في هذا الجحيم .. لولاه لما فكرت في إلقاء شباكي حول ذلك الأحمق و لما تورطت في هذا الزواج .

دفعها عاطف برفق لتغادر معه الملهى و هو يهمس :

- الزواج منه صفقة جيدة و أنتِ تعرفين كم أن عمي بارع في عقد الصفقات .. لكن الحياة معه سخيفة كالوجبات الصحية التي يصفها الأطباء للمرضى و أنتِ لستِ مريضة .. أنتِ جامحة مثلي و سيروق لكِ طعاماً صينياً به الكثير من البهارات خاصةً إذا تناولناه معاً في شقتي .. ما رأيك ؟ .. هل نمر على المطعم في طريقنا و أنتِ تعيدينني إلى البيت ؟ .. نستطيع أن نتشارك هذه الوجبة

و أمور أخرى قد تجعل ذلك الفاشل خارج نطاق تفكيرك تماماً .

عربد الغضب في صدر فهمي عندما عاد إلى القصر و لم تكن زوجته موجودة ؛ كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل و قد وجد بقايا هاتفها ملقاة في غرفة نومها بإهمال لذا لم يعرف كيف يتصل عليها .. ظل مسهداً طوال الليل و هو يغلي غضباً و ينتظر عودتها لكنها لم تعد حتى الصباح .

أفاقت نيفين من تأثير الخمر في منتصف النهار ؛ كانت مستلقية في استرخاء في فراش عاطف و بين ذراعيه قبل أن تنظر إلى ساعة يدها و تقفز جالسة و هي تهتف :

- مصيبة .. كيف سأبرر غيابي لكل هذا الوقت أمام فهمي ؟ .. يقيم الدنيا و لا يقعدها عندما أسهر وحدي ؛ فماذا سيفعل بعد أن قضيت الليل بأكمله في الخارج ؟

هتف عاطف في استرخاء :

- لا تبحثي عن مبررات .. القي الكرة إلى ملعبه .

هتفت في حيرة :

- ماذا تعني ؟

اعتدل جالساً و هو يهتف :

- اذهبي إلى فندق و احجزي غرفة هناك ثم اتصلي على والدك .. قولي له أنكِ قد تركتِ البيت غاضبة من ذلك السخيف الذي لا يراعي شعورك و يحرجك أمام أصدقاءك .. برري عدم ذهابك إلى بيته بأنكِ غاضبة منه هو أيضاً لأنه يأتي دوماً في صف فهمي و ينصره عليكِ .. اطلبي منه أن يضع حداً له و أن يجعله يفهم أنكِ لستِ كماً مهملاً في بيته و أن لكِ حقوقاً كثيرة يقصر في أداءها و ترغبين في الوفاء بها و هكذا .. هل أنا من سيقول لكِ ماذا عليكِ أن تفعلي لتقلبي المائدة على الجميع يا نوفا ؟ .. أنتِ أستاذة و ستجيدين التصرف بحنكة .

قبلت شفتيه في حرارة قبل أن تهتف :

- بل أنا حمقاء .. ما كان عليّ أن أهدر روعة ليالينا معاً من أجل صفقة غبية .. أنا لم أعد أستطيع الاستغناء عنك يا عاطف .. و لا أدري كيف كنت غبية و لم أرَ هذا قبل الآن .

جذبها عاطف ليستلقيا في الفراش و هو يهتف :

- يمكننا تعويض كل ما فاتنا و صفقتك رابحة و لن تؤثر على سعادتنا .. طالما يظل ذلك المغفل أعمى و لا يرى ما بيننا .

# ***الفصل الثالث***

- سأطلقها .

احتقن وجه فؤاد بشدة عندما هتف فهمي بهذه الجملة بينما شهقت زهيرة و هتفت في استنكار :

- طلاق ؟! .. و منذ متى نتحدث عن الطلاق ؟ .. تعقل يا فهمي و لا تهدم كل ما خطط والدك بناءه لأجلك .

هتف فهمي في حدة :

- الطلاق هو الباب الوحيد المفتوح أمامي الآن بعد أن أغلقت نيفين كل الطرق بتصرفاتها التي خرجت عن حدودها كثيراً و لم يعد لها رادع .. تحملت رعونتها لعامٍ كامل و لا شيء سيجعلني أتحمل أكثر من هذا خاصةً الآن .. الهانم تقضي معظم الوقت في السهرات و الحفلات و الشرب و الرقص و المساخر التي نبهتها لألف مرة إلى أنني لن أقبل بها .. ثم إن تركها للقصر في كل مرة أعترض فيها على تصرف من تصرفاتها أصبحت عادة لا تقطعها و أنا لم أعد أطيق هذا الأسلوب .. من الأفضل لي أن أطلقها و أنا في كامل قوايا العقلية على أن أخنقها و أنا لست في كامل وعيي .

هتف فؤاد في ثورة :

- لو كنت بنصف عقل لا في كامل قواك العقلية لما فكرت في الطلاق .. الطلاق فكرة مجنونة و لا تستحق حتى أن نناقشها .. هل تعرف حجم السلطة التي بت تتمتع بها بسبب زواجك من نيفين التي لا تعجبك ؟ .. أنت وحدك الآن قوة اقتصادية لا يستهان بها و يمكنك أن تحقق نجاحات مهولة لم تكن تحلم بها .

زم فهمي شفتيه و هو يفكر في أن موقف والده لا يجب أن يفاجئه فهو ثابت و لا يتغير ؛ كل ما يفكر به هو استمرار الشراكة بين الجبلاوي و السيوطي حتى لو كان هذا على حساب سعادة ابنه الوحيد أو حتى كرامته .. المال هو اللغة الوحيدة التي يستطيع أبوه فهمهما و هذا ليس جديداً و ربما لن يتغير .

تنهدت زهيرة في أسى و تحسست الطريق إلى مقعد ابنها و وضعت يدها على كتفه و هي تهتف :

- استمع إلى والدك فهو أدرى بمصلحتك .. صلاح السيوطي لن يقبل طلاقك من ابنته ببساطة و أنت تعرف أنه رجل له نفوذه و سطوته و ليس هو العدو الذي ترغب في أن يقف في طريقك الآن .. ثم إن نيفين ليست بالسوء الذي تتخيله ؛ هي عنيدة و متسلطة و متهورة لكنك تستطيع ترويضها باللين لا بالشدة التي تعاملها بها .. أنت تهملها كثيراً

يا فهمي .. كل تركيزك و طاقتك و تفكيرك في عملك و مشروعاتك و المسئولية التي على عاتقك و لا تترك لها مساحة كافية في حياتك .. بنت في سنها تحتاج إلى بعض التدليل من زوجها لكنك تعاملها بخشونة و كأنك لا تطيقها .. أنت ...

قاطعها فهمي هاتفاً في ضيق :

- لأنني بالفعل لا أطيقها .. هذا هو جوهر المشكلة يا أمي لكن لا أحد منكما يريد أن يستوعبه .. ضغطتما عليّ لأتورط في هذه الزيجة و الآن تضغطان بقوة لتستمر مع أن كلاكما يرى جيداً أنني أعيش معها في منتهى التعاسة .. نيفين تحتاج إلى شاب فارغ العقل مثلها و لديه وقت للسهر و الشرب و الرقص و المجاملات الفارغة و أنا لا تناسبني هذه الحياة .. عامٌ كامل قد مر منذ زواجنا و أنا لا زلت لا أبتلع زواجي منها ؛ حتى المرات القليلة التي كنا فيها معاً كانت باردة و سخيفة و لا معنى لها و لا أحد منا بات يرغب في تكرارها .. أنا و نيفين منفصلان فعلياً منذ ثلاثة شهور و هذا الوضع يجب أن نضع له حداً قبل أن يخرج عن مداه و يتفاقم أكثر من هذا .. أنا لا أريد أن أظلمها معي و الطلاق هو الحل الوحيد الذي سيخلصني منها و ينصفها مني .

هب فؤاد واقفاً و هتف في ثورة :

- منفصلان ؟! .. ما معنى منفصلان ؟ .. هل نسيت لما تزوجتها من الأساس ؟ .. أنا و أمك نفكر طوال الوقت لما لم يحدث حمل حتى الآن و أنت تقول منفصلان .. هل تريد أن تقتلني بحسرتي ؟

نهض فهمي و هو يهتف في توتر :

- افهمني يا أبي .. ثروة نيفين و نفوذ أبيها و السلطة التي تمتعت بها بسببهما لا قيمة لها عندي و أنا لا سلطة لي على زوجتي أم أنك لا ترى أن الهانم تعاملني بتعالي و تتحداني طوال الوقت بأن تتجاهل رغباتي و أوامري و تحتمي بك و بأبيها .. إذا لم يحدث حمل طوال العام الماضي فهذه نعمة أحمد الله عليها .. أنا لا أريد طفلاً من نيفين .. أنا من الأساس لا أرغب في استمرار زواجي من نيفين ؛ فلما سأرغب في أن يكون لي طفل منها ؟ .

هتفت زهيرة في استنكار :

- لما يا فهمي ؟ .. أبوك يقول أن نيفين فاتنة كما أنها ذات حسب و نسب و ثروة .. هي عروس مثالية من كل الوجوه و من المفروض أن ...

قاطعها فهمي هاتفاً في سخرية :

- نيفين ممتازة .. طبق كنافة بالمانجو لكنني لا أستطيع ابتلاعها .. تعرفين أنني أكره الكنافة و أتحسس من المانجو .. لا شيء يقنعني بأن أظل طوال حياتي ابتلع لقمة تقف في حلقي و تسيء لصحتي .. أكرم لي أن أتقيأها الآن على أن أغص بها لآخر عمري .

تجاهل فؤاد كل ما يقوله ابنه و هتف :

- ما الذي أخر الحمل لكل هذا الوقت ؟ .. كانت هناك فرصة لحدوثه قبل الانفصال الأحمق الذي تتحدث عنه ؛ فلماذا لم يحدث ؟

هتف فهمي في ضيق :

- هل هذه هي المشكلة الآن يا أبي ؟

هتف فؤاد في حسم :

- بلى .. هذه هي المشكلة .. كل ما أريده هو الحفيد الذي سيحمل اسمي ؛ بعدها يمكنك أن تطلق نيفين أو تتزوج غيرها أو ترافق عليها .. سيان فأنا لن أحاسبك .. كل ما أريده هو حفيدي ؛ فلماذا لم يأتِ حتى الآن ؟

أصر فؤاد على أن يذهب فهمي معه إلى بيت صلاح ليسترضي زوجته و يعيدها إلى قصره ؛ هذه المرة أصر على أن يذهبا إلى طبيب يفحصهما و يعرف ما الذي أخر حدوث الحمل .. لا فهمي و لا نيفين كانا يرغبان في هذا لكن كلاهما خضع لرغبة والده و لم يستطع أن يعترض .

كان فؤاد ينتظر في لهفة ظهور نتائج الفحص حتى أنه لم ينتظر أن يذهب ابنه لإحضارها و ذهب بنفسه إلى المستشفى و قابل الطبيب الذي ناوله ملفاً به بعض الفحوص و هو يهتف :

- بالنسبة إلى الزوجة فلا مشكلة على الإطلاق .. ليس لديها أي عائق قد يمنع الحمل و ليست في حاجة إلى أي علاج من أي نوع .

بهت وجه فؤاد و همس في تردد :

- هل تعني أن ابني لديه مشكلة تمنع الحمل ؟ .. هل هذا ما تريد أن تقوله ؟

أطرق الطبيب برأسه و هتف في أسى :

- آسف لقول هذا و لكن .. ابنك عقيم .. كل الفحوص تؤكد هذا .

احتقن وجه فؤاد و لمعت الدموع في عيونه و هو يهمس في صوتٍ كالحشرجة :

- لكن هناك علاج .. هناك أمل يا دكتور ؛ أليس كذلك ؟

هز الطبيب رأسه نفياً قبل أن يهتف :

- للأسف لا .. ابنك عقيم .. يعاني من انعدام الحيوانات المنوية و هي حالة تحتاج إلى علاج طويل و بطئ المدى و قد لا يأتِ بنتيجة على الإطلاق .

# ***الفصل الرابع***

وقفت زهيرة خارج غرفة العناية المركزة و هي تبكي في حرقة ؛ لا تعرف ما الذي جعل صحة زوجها تتراجع فجأة و يصاب بأزمة قلبية أشد عنفاً من التي سبقتها عندما فقدا فريد و لا تدري ما إذا كان سيستطيع أن يتجاوزها و ينجو منها كما يدعي الأطباء أم أنهم يمنحونها أملاً زائفاً لن يتحقق .

اقترب فهمي من أمه و ضمها إلى صدره و هو يواسيها بكلمات جوفاء لا حرارة بها فقد كان هو نفسه لا يعرف ما الذي ألم بأبيه و جعله ينهار تحت وطأة المرض بعد أن كان متماسكاً و يزداد صلابة يوماً بعد يوم حتى ظن فهمي أن مسألة مرض أبيه كانت مسألة وقتية مرهونة بخسارته الفادحة لابنه و ذهبت إلى حالها و لن تتكرر و لكن من الواضح أنه كان مخطئاً .

اقتربت نيفين من فهمي و هي تبتسم ؛ كانت متأنقة كثيراً كالعادة و على وجهها الكثير من مساحيق التجميل ؛ شعر فهمي بالضيق من رؤيتها على الرغم من أنه لم يرها منذ يومين ؛ عندما فوجئ بالأزمة التي أصابت والده و هي لم تحاول السؤال عنه أو مواساة زوجها و مؤازرته في ظروفه الصعبة .

هتف فهمي في جفاء :

- أهلاً .. أخيراً تذكرتِ .. خطوة عزيزة يا مدام .

هتفت نيفين في هدوء مستفز :

- أنت تعرف أنني لا أحب جو المستشفيات .. كيف هو الآن ؟

هتفت زهيرة في لوعة :

- ليس بخير .. فؤاد يحتضر يا نيفين و قد نفقده .

مطت نيفين شفتيها و هتفت في لامبالاة :

- كم هذا مؤسف !! .. من المؤلم أن يحدث له هذا بعد أن زار الطبيب الذي فحصني أنا و فهمي ؛ من الواضح أن مسألة عدم الإنجاب هذه تؤثر عليه .

تنبهت كل حواس فهمي و هو يهتف في استغراب :

- ماذا تقصدين ؟

رفعت نيفين حاجبها و هي تهتف في تعجب :

- ألم تعلم من أين نقلت سيارة الإسعاف والدك إلى هذه المستشفى ؟ .. من عيادة الطبيب الذي فحصنا و وصف لنا تلك التحاليل .. هو أخبرني بهذا بنفسه منذ قليل .. عندما ذهبت لأسأله عن نتائج الفحوص .

شحب وجه فهمي بعض الشيء ؛ رائحة الشماتة التي تفوح من صوتها و تلوح في عينيها مع الحالة التي عليها والده

كانت كافية لأن يتوقع إجابة السؤال الذي قفز على شفتي أمه و هي تهتف في لهفة :

- و ما هي نتيجة الفحوص ؟

تنهدت نيفين و تظاهرت بالأسى و هي تهتف :

- للأسف يا حماتي الحفيد الذي تنتظرينه بفارغ الصبر لن يأتِ أبداً .. أنا و فهمي لن يكون لنا أولاد لأنه عقيم و لا أمل لديه في أن ينجب في يوم من الأيام .

ثم مالت نحو فهمي و وضعت كفها على صدره و هي تردف :

- لكن هذا لن يؤثر على زواجنا و استقرارنا فأنا أعرف قيمة ما يربط بيننا جيداً و لن أضحي به .. أنت أيضاً يا فهمي ستقدر تضحيتي و تحافظ على ما بيننا ؛ أليس كذلك ؟

انفجرت زهيرة باكية في حرقة ؛ كانت تأمل كثيراً في أن يكون لها حفيد و فكرة أن هذا لن يحدث أبداً صدمتها لكن ما أفزعها فعلاً هو حالة زوجها ؛ فقد كانت تعرف ما الذي يعنيه أمر ذلك الحفيد بالنسبة له و خشيت كثيراً ألا يتحمل قلبه الضعيف خسارته الفادحة .

بالكاد استطاع فهمي استيعاب فكرة أنه لن ينجب ؛ ذهب إلى الطبيب و تأكد بنفسه من كلام نيفين كما أخذ التحاليل و عرضها على طبيبٍ آخر و أكد نفس النتيجة .. لم يكن فهمي يرغب في أن يكون له طفلٌ من نيفين لكن فكرة ألا يكون لديه أطفال على الإطلاق كانت مؤلمة بحق .

عندما استعاد فؤاد وعيه لم تكن حالته مستقرة كما كان مكتئباً و أسر الطبيب إلى فهمي بأن حالة الإحباط التي تعتري والده هي أسوأ ما يمكن أن يواجهه رجل في سنه و حالته الصحية و أنها قد تودي بحياته في أية لحظة لكن فهمي كان يعرف والده جيداً و يعرف أنه محارب بطبيعته و لا يمكن أن يستسلم بسهولة لكنه لم يكن واثقاً مما يمكن أن يفعل الآن بعد أن هزمه القدر شر هزيمة و جرده من آخر أمل يمكن أن يعيش من أجله .

هتف فؤاد في ضعف :

- لا يمكن أن ينقطع نسلي و يضيع اسم العائلة بهذه البساطة .. لا يمكن أن أسمح بهذا أبداً .

كان فهمي يدرك جيداً أن خسارته الشخصية و الألم الذي شعر به لا يعني والده في شيء فقد كان كل ما يكترث له هو خسارته لولي العهد الذي سيمتد ذكره به كما كان

يتمنى ؛ و لم يجد فهمي ما يقوله ليواسي والده به فقد كان هو نفسه يحتاج لمن يواسيه .. هتفت زهيرة في أسى :

- لا تفكر في هذا الآن .. فكر في صحتك .

حاول فؤاد أن يعتدل جالساً و هو يهتف :

- صحتي لن تعوق حلمي .. اسم الجبلاوي لن ينقرض حتى لو اضطررت للزواج و إنجاب طفل جديد يحقق ما فشل فيه أولادك .

احتقن وجه زهيرة بشدة بينما أسرع فهمي يعيد والده للاستلقاء في الفراش و يدفعه للاسترخاء و هو يهتف :

- دعنا نرجئ هذا الحديث السخيف الآن .. لن يمكنك أن تقف على قدميك قبل بعض الوقت ؛ عندها يمكنك أن تفكر في الزواج أو أية سخافة أخرى تخطر على ذهنك أما الآن فعليك أن تسترخي .. استرخي فحسب .

كان فهمي محقاً فقد مر الكثير من الوقت قبل أن يتعافى فؤاد ببطء و يسمح له الأطباء بمغادرة المستشفى ؛ و حتى في هذا الوقت لم يكن يستطيع أن يقف على قدميه لأن قلبه الضعيف لم يكن يتحمل أي مجهود لذا اقترح الطبيب أن يستخدم مقعداً متحركاً في الوقت القليل المسموح له به بمغادرة الفراش .

كانت زهيرة تشعر بالقلق و لم تستطع أن تحتفظ بمخاوفها لنفسها لذا فقد تحسست الطريق إلى غرفة فهمي الذي كان مستلقياً في فراشه و هو يفكر في نيفين .. يستطيع الآن أن يقتلعها من حياته لكن المسألة لن تمر بسهولة فلا والده و لا والدها سيرغبان في إنهاء الشراكة التي بينهما لذا كان عليه أن يرتب للمسألة بروية و صبر .

عندما طرقت زهيرة باب الغرفة ثم فتحته هب فهمي واقفاً و أسرع نحوها ؛ أخذ بيدها و ساعدها على الجلوس على أقرب مقعد إليها قبل أن يجثو عند قدميها و هو يهتف :

- ما بكِ يا ست الكل ؟ .. ألم يعد أبي إلى القصر و الحمد لله ؟ .. حالته ستتحسن مع الوقت فلا تقلقي .

همست زهيرة في تردد :

- أخشى أن تتحسن فينفذ فكرته المجنونة .. أتظن أنه قد يتزوج مرة أخرى ؟

قهقه فهمي ضاحكاً و هتف :

- من الذي يتزوج ؟! .. رويدك يا أمي ؛ هل صدقتِ ما يقوله ؟ .. أكبر تحسن يمكن أن نأمل به هو أن يقف على قدميه و يتحرك بدون المقعد المتحرك من وقتٍ لآخر .. حالة أبي متأخرة كثيرة حتى أنه لا يمكن أن يتعرض لأي

مجهود أو انفعال .. و هو يعرف قبل أي شخصٍ آخر أن الزواج بالنسبة له انتحار و أبي ليس مجنوناً ليقتل نفسه .

هتفت زهيرة في مرارة :

- لكنه يائس .. و اليأس قد يدفع المرء لأمور جنونية لا يتخيلها أحد و أخشى أن .. أنا لن أتحمل أن يفعل فؤاد هذا بي بعد كل العمر الذي قضيناه معاً .

قبل فهمي كفها و هتف في ثقة :

- اطمئني يا أمي فهو لن يفعل هذا أبداً .. في النهاية لن يجد أمامه سوى أن يسلم أمره لله و يرضى بقدره تماماً كما سأفعل .

هزت زهيرة رأسها نفياً بقوة و هتفت :

- لا يا فهمي .. أنت لا تعرف والدك كما أعرفه ؛ فؤاد لا يستسلم أبداً و أنا واثقة من أنه لن يهدأ و لا ينام قبل أن يحقق حلمه لكنني لا أدري كيف سيفعل هذا .. كيف ؟

# ***الفصل الخامس***

عاد فهمي إلى القصر بسرعة عقب اتصال من والده ؛ لم يكن يعرف ما هو الأمر المهم الذي جعل والده يتصل عليه و يصر على أن يترك كل أعماله و يأتي إليه بسرعة لكنه كان يعرف أنه يجب أن يفعل كل ما يرغبه والده لأنه ليس في حالة تسمح له بأن يتحمل بأن يجادله أحد أو يتعارض معه .

عندما دخل فهمي إلى القصر لم تكن نيفين موجودة كالعادة بينما كانت أمه تجلس في الشرفة مع والده الذي جلس على مقعده المتحرك و هو ينظر إلى بوابة القصر من وقتٍ لآخر و كأنه يتعجل عودة فهمي و ما إن رآه حتى تنهد في ارتياح .

جلس فهمي بعد أن قبل رأس أمه و كف أبيه و هتف في اهتمام :

- ماذا هناك ؟ .. هل أنت بخير يا أبي ؟

هتف فؤاد في حزم :

- دعك من صحتي الآن و دعنا نركز على المهم .. هناك شيء يخص المرحوم فريد يجب أن نتحدث به الآن .. أنت لم تكن موجوداً في القاهرة لدى وفاته لذا لا تعلم به كما أنني أخفيت الأمر عن الصحافة و عن الجميع حتى أمك .. لذا الأمر سيكون مفاجأة لها كما هو لك .

هتف فهمي في قلق :

- يبدو الأمر خطيراً يا أبي .. تكلم .. ماذا هناك ؟

زفر فؤاد في حرارة قبل أن يهتف :

- على الرغم من أن فريد كان توأمك لكنه كان مختلفاً كثيراً عنك في طباعه .. أنت انطوائي و مستقيم و شديد الرصانة أما هو فقد كان منطلقاً و فوضوياً و مفعماً بالحياة .. كان يندفع في مغامرات و ملذات كثيرة لا حصر لها و كأنه كان يشعر بقصر أجله .. و على الرغم من أنه كان يساعدني في إدارة المؤسسة حتى من قبل أن ينهِ دراسته في الجامعة الأمريكية لكنه كان يكرس الكثير من الوقت لعلاقاته النسائية .. الشيء الوحيد الذي يشبهك به هو أنه كان يرفض الزواج رفضاً تاماً و بدون مناقشة و هذه هي المشكلة .

تدفقت الدموع من عيون زهيرة و هي تهتف في لوعة :

- ما الداعي لهذا الحديث الآن ؟ .. رحمه الله .. مات في عز شبابه .. ليته كان قد استمع لي و تزوج و أنجب لكان أولاده الآن سلوايا بعد غيابه ..

قاطعها فؤاد هاتفاً ببطء :

- قد يكون له ابن .

حدق فهمي في وجه أبيه في ذهول ؛ بينما همست زهيرة :

- ابن ؟! .. فريد له ابن ؟!

هتف فهمي في حيرة :

- ماذا تقصد بالضبط يا أبي ؟ .. كيف يكون له ابن ؟ .. قلت أن هناك ما لا نعرفه و تريد أن تخبرنا به ؛ فما هو ؟

زفر فؤاد في حرارة قبل أن يهتف :

- تعرف أن أخاك قد مات مختنقاً بسبب تسرب غاز في شقته .. كان يستقل بمعيشته بها حتى لا أراقب أنا و أمه تصرفاته ؛ و كان يستضيف بها بعض الفتيات من حينٍ لآخر .. و عندما مات لم يكن وحده .. كانت هناك فتاة في فراشه لكنني حجبت الخبر عن الصحف و عن الجميع منعاً للفضيحة .

همست زهيرة في حيرة :

- تقصد أن جثتها كانت في فراشه ؟! .. أعني .. هي أيضاً ماتت ؛ أليس كذلك ؟

هتف فهمي في ثقة :

- من الواضح أنها لا تزال حية .. من كانت تلك الفتاة بالنسبة إلى فريد يا أبي ؟ .. و من هي ؟ .. و ما الذي ذكرك بها الآن ؟

نقر فؤاد ذراع مقعده المتحرك في عصبية ؛ فضاقت عيون فهمي و هو يردف :

- هل تظن أنها ربما كانت .. لا يا أبي .. ما الذي يجعلك تتصور شيئاً كهذا ؟ .. ما أعرفه عن فريد أنه كان هوائياً و لم يستقر في علاقة سواء بزواج أو بدونه ؛ و أغلب الظن أنها كانت مجرد ساقطة استأجرها من الشارع .

أخرج فؤاد هاتفاً من جيب سترته و ناوله إلى فهمي و هو يهتف :

- لا .. كانت على علاقة وطيدة به و لمدة ليست قصيرة .. هذا هاتف فريد – رحمه الله - .. ستجد به كثير من الصور و الفيديوهات تجمع بينه و بينها ؛ و هذا ليس كل شيء .. الفتاة كانت حبلى بالفعل عندما تم نقلها للمستشفى و ادعت أن فريد تزوجها عرفياً قبل وفاته بستة أشهر و قد عثرت على الورقة العرفية في شقته عندما فتشتها .

بهت وجه فهمي بشدة ؛ بينما هتفت زهيرة في لوعة :

- أتقصد أن فريد قد يكون له ابن ؟ .. كيف ؟! .. و لماذا سكت لكل هذا الوقت ؟ .. و لماذا ليس حفيدي في حضني الآن ؟ .. كيف سمحت بهذا ؟

هتف فؤاد في ضيق :

- لست واثقاً مما إذا كان هناك طفل أم لا .. كل ما أعرفه هو أنها دخلت إلى المستشفى و هي حامل .. ربما احتفظت بالحمل و ربما لا و هذا ما أريدك أن تتأكد منه يا فهمي .. تحرى عنها ....

قاطعه فهمي هاتفاً في حدة :

- الآن ؟! .. أخي في قبره منذ خمس سنين و أنت لم تتذكر أن له ابناً قبل الآن .. قبل أن تحتاج إليه لتحقيق أحلامك .. أنا لا أصدق .. ماذا ستقول لابنك عندما تلقاه في يوم الحساب العظيم ؟ .. أنك تخليت عن لحمه و ألقيت به إلى الشارع و تركته يتربى على الأرصفة و حرمته من أبسط حقوقه حتى اسم أبيه و جدوده .. أنا لا أصدق .. حقاً لا أصدق .

هتف فؤاد في ثورة :

- كان هذا اختياره .. أنا لم أقل له أن يزرع دمنا في أحشاء ساقطة من الشارع .. الشارع هو المكان الطبيعي لابن

السفاح و لو كان أخوك حياً أظننت أنه كان ليعترف بمثل هذا الابن ؟ .. أنا فعلت الصواب لأحافظ على اسم عائلتي كما أفعل الصواب الآن لأحافظ على ذكرها .

هتفت زهيرة في توتر :

- لكنك أخفيت هذا عني يا فؤاد .. منذ متى و أنت تخفي عني أموراً خطيرة كهذه ؟ .. ثم .. لو كان هناك طفل أتظنان أنه كان سيختفي عنا لكل هذا الوقت ؟ .. الولد له حقوق في اسم أبيه و ثروته و ما كان يملكه فريد و بدون ثروة فؤاد لم يكن بالقليل ؛ فلماذا لم تطالب تلك الفتاة به ؟ .. هذا لو كان الطفل حياً .. المحكمة كانت ستقف في صفها و تثبت البنوة و تقر العقد العرفي ؛ أليس كذلك ؟

هتف فهمي و هو يتأمل صورة الفتاة على الهاتف :

- لديكِ حق .. هذه الفتاة لو كان لديها طفل من فريد لما صمتت لكل هذا الوقت .. على الأقل كانت ستشهر به و بنا في الصحف و وسائل الإعلام .. خاصةً أنها صغيرة في السن على ما يبدو من صورتها .. كم كان عمرها يا أبي ؟ .. عشرون عاماً أم أقل ؟

هتف فؤاد في حدة :

- أنا لم أقل أنني واثق من أنها قد احتفظت بالجنين .. أنا هددتها و طردتها من شقة فريد و مزقت الورقتين .. لم

يكن لديها دليلٌ على أن ابني له صلة بها و أظن أنها تعقلت و ابتعدت عن طريقي .. المهم الآن هو أن نتحرى عنها و نتأكد .. إذا كان هذا الجنين قد اكتمل فهو آخر أمل لهذه العائلة في نسل من صلبها و أنا لن أضيع هذه الفرصة .

نهض فهمي و هتف في حزم :

- إذا كان هذا الجنين قد اكتمل فسيكون له حقوق في هذا القصر و هذه العائلة و سأعيدها إليه بأية طريقة و بأي ثمن .. المهم .. هل تعرف اسم هذه الفتاة أو أين يمكننا العثور عليها أم أن عليّ أن أجري خلف مجهول لا معالم له ؟

# الفصل السادس

عادت أمينة إلى شقتها الصغيرة في شارع فيصل بعد منتصف الليل بساعتين و هي تشعر بأنها منهكة ؛ قضت يوماً طويلاً من العمل الشاق في تصوير الإعلان الجديد لكن هذا لم يكن جديداً عليها .. تعمل في الإعلانات منذ خمس سنوات الآن و أصبحت محترفة و يتم طلبها بالاسم حتى أنها باتت معروفة و محبوبة من معظم العاملين في الشركات المختلفة التي تعمل في هذا المجال .

على الرغم من أنها كانت جائعة لأنها لم تأكل طوال النهار ؛ و على الرغم إمن أنها كانت تتوق إلى الاستحمام بماء دافئ و نزع ثيابها و محو مساحيق التجميل عن وجهها كان أول ما فعلته هو أن دخلت من باب الشقة إلى باب غرفة النوم حيث تنهدت في ارتياح و هي تتأمل الطفلين النائمين في فراشها في وداعة الملائكة .

قبلت أمينة الطفلين و عدلت وضع الأغطية عليهما قبل أن تنتزع ثيابها و تغتسل ثم دخلت إلى الغرفة المجاورة و ألقت نظرة على أختها الكبيرة مريم و على أمها النائمة في الفراش منذ سنين بلا حول و لا قوة ؛ كما اطمأنت إلى أن أختيها سما و سلا نائمتان بدورهما و خرجت من الغرفة على أطراف أصابعها حتى لا توقظهما .

دخلت أمينة إلى المطبخ و أعدت لنفسها بعض الشطائر و كوباً من الشاي و تناولتهم بسرعة قبل أن تعود إلى غرفتها و تندس في الفراش بجوار الطفلين و تضمهما إلى صدرها و تذهب في ثباتٍ عميق ..

في الصباح استيقظت على أيدٍ صغيرة تهزها برفق و شفاه ناعمة على وجهها فابتسمت و هي تفتح عينيها على الطفلين الذين يداعبانها .

اعتدلت أمينة جالسة في الفراش و ضمت إلى صدرها الطفلين حيث هتفت سارة :

- أنا أخاصمك .. خرجتِ بالأمس قبل أن نراكِ .

هتف رامي بسرعة :

- قلت لكِ أن ماما لديها عمل .. عمل كثير و يجب أن تذهب إليه ؛ أليس كذلك يا ماما ؟

تنهدت أمينة .. كان الطفل الذي لم يبلغ الخامسة من عمره بعد يحاول أن يكون رجلاً من أجلها و يتفهم ظروفها ؛ مسحت بيدها على شعره و هتفت :

- لكن ماما ليس لديها عمل اليوم .. اليوم سأعد لكما الفطور بنفسي و سنتناول الغداء في الخارج و سنأخذ معنا سلا و سما .. ما رأيكما ؟

ابتسم رامي في سرور بينما هتفت سارة :
- و جدتي و الخالة مريم ؟ .. هل سنتركهما وحدهما ؟

هتف رامي قبل أن تجيب أمه :
- جدتي مشلولة و لا تذهب لأي مكان و ستظل الخالة مريم معها .. أليس كذلك يا أمي ؟

أطرقت سارة برأسها و همست :
- لو كان أبي هنا لذهب معنا .. متى سيعود يا أمي ؟

احتقنت الدموع في عيون أمينة و نهضت بسرعة و اختفت في دورة المياه لتهرب من السؤال الذي يطاردها طوال الوقت على لسان سارة و في عيون رامي و في همسات الناس التي لم ترَ لها زوجاً و لا تعرف أن والد سارة و رامي قد انتزعه الموت و هما لا زالا جنيناً في أحشاء أمهما .

لا أحد يستطيع أن يعرف مدى الخسائر التي تكبدتها أمينة و كم عانت في سبيل الحفاظ على الطفلين و الاحتفاظ بهما

في حضنها على الرغم من استنكار الجميع لموقفها هذا .. كانت مجرد طفلة في السادسة عشر من عمرها و فكرة أن تتحمل مسئولية سارة و رامي وحدها دون أن يكون لهما أب يعولهما أو يكون لها أحد يؤازرها كانت في نظر الجميع ضرباً من الحماقة و ربما الجنون لكنها لم تستطع التخلي عنهما رغم كل الظروف التي وقفت ضدها و حاربت من أجل وجودهما معها .

لا تستطيع أمينة أن تنسَ والدها الذي قضى حياته و هو مجرد كومبارس و لم يتخل قط عن حلمه في أن تكون واحدة من بناته بطلة شهيرة في يوم من الأيام و ها هي أمينة على وشك تحقيق هذا الحلم .. الحلم الذي لم يكن حلمها في يوم من الأيام لكنها اعتبرت نفسها مدينة بتحقيقه إكراماً لذكرى الأب الذي لم يتحمل أن يكتشف أن ابنته الأثيرة قد حملت من سفاح و مات مصدوماً و مخزياً بسببها .

استعدت أمينة للخروج مع التوأم رامي و سارة قبل أن تدخل إلى غرفة أمها ؛ كانت أختها مريم التي تكبرها بعامين هي التي تتولى رعاية الأم طريحة الفراش و كذلك رعاية البيت و أخواتها سما و سلا التوأم اللتين أصبحتا على وشك الحصول على الثانوية العامة كما أنها كانت ترعى سارة و رامي في غياب أمينة التي كانت تتحمل

وحدها مسئولية الإنفاق على كل هذه الأسرة بعد أن فقدت عائلها الوحيد و لم تكن تقصر في أداء مسئوليتها .

منذ خمس سنوات كاملة فقدت الأم قدرتها على الحركة و النطق على إثر إصابتها بجلطة في المخ ؛ لم تتحمل وفاة زوجها المفاجئة و لا السبب الذي جعله يفقد حياته و هو مقهور .. منذ هذا الحين اختارت مريم أن تكون هي الأم و أن تحل أمينة محل والدها لأنها الوحيدة التي كانت تعمل .. صحيح أنها كانت مجرد فتاة إعلانات بالكاد تشق طريقها في هذا المجال لكن أمينة استطاعت أن تعمل بكد لا لأنها ترغب في أن تكون مشهورة و لكنها كانت تحتاج لأن توفر لأسرتها كل سبل العيش و أولها إيجار الشقة التي اضطرت لنقل أهلها إليها فقد كان من المستحيل أن تستمر الأسرة في الإقامة في بيتهما القديم في عشش الترجمان و تتحمل ألسنة الناس التي لم تكن لترحم الفتاة الصغيرة التي كانت تعيش بينهم بعد أن يظهر عليها الحمل و لم يعرف أحد لها زوج .

عندما دخلت أمينة إلى غرفة أمها أشاحت الأم بعيونها عنها كالعادة ؛ طوال السنوات التي مرت لم تغفر لها أنها قد قررت الاحتفاظ بالطفلين و رفضت أن تتركهما يتربيان في دار إيواء .. أمينة لم تكن لتتحمل أن تنتزع أية قوة سارة و رامي من حضنها و قد كانت مستعدة لأن تدفع أي

ثمن في مقابل احتفاظها بهما .. بما في هذا غضب أمها عليها و مقاطعتها لها .

ظلت أمينة تنظر إلى أمها في حزن للحظات قبل أن تلتفت نحو مريم و تهتف :

- هل تناولت طعامها و أدويتها ؟

ربتت مريم على كتف أختها و هتفت :

- اطمئني .. كما مرت علينا الفتاة من المعمل بالأمس و أخذت لها عينات التحاليل كما طلبتِ منها .. يمكنك أن تمرى على المعمل في طريق عودتك لتحصلي على النتائج .. و على فكرة .. أخذت عينة دم من رامي و سارة .. قالت أنهما يبدوان شاحبين بعض الشيء و ستجري لهما تحليل نسبة هيموجلوبين لنطمئن عليهما .. فعلت هذا مجاناً و قالت أنها لن تقبل بأن تسددي قيمة التحليل لأن هذا عرض من المعمل لزبائنه المداومين على التعامل معه .. يبدو هذا غريباً بعض الشيء ؛ أليس كذلك ؟

هتفت أمينة في قلق :

- بل هو غريب جداً .. ثم إن رامي و سارة ليسا شاحبين .. لو لاحظت عليهما شيئاً كهذا لأخذتهما إلى الطبيب فوراً .. عموماً سآخذ التوأمين للغداء في الخارج و سأشتري لهم

ثياباً جديدة فالشتاء قارس هذا العام و يجب أن نستعد له و سأمر على المعمل في طريق عودتي .. أنا ليس لديّ تصوير غداً كذلك فرتبي أمورك على أن نذهب معاً لشراء ثيابنا نحن الجديدة و تغيرين جو البيت فأنت لم تذهبي للتسوق أو تتركي الشقة منذ مدة .. اتفقنا .

هتفت مريم في قلق :

- لا داعي يا أمينة .. أنا لا أحتاج إلى ثياب جديدة فأنا لا أذهب لأي مكان .. اشتري لنفسك اليوم و أنتِ تشترين لهم هذا لو كفى المال فأنا واثقة من أنهم سيستنزفونك .

قبلت أمينة جبين أختها و هتفت :

- لا تقلقي .. معي ما يكفي كما أن لديّ مفاجأة .. أخبرني زاهر أن شركة إنتاج كبيرة تحتاج إلى وجوه جديدة و قد سألوه عني و سيوقعون عقداً معي .. عقد بدور كبير هذه المرة و بمبلغ جيد جداً حتى أن زاهر يتوقع أن هذا العقد قد يكون أول الطريق السريع للنجومية .

تألقت عيون مريم بنظرة ظافرة و هتفت في سرور :

- هذا خبر جيد جداً .. زاهر هذا فألك الحسن يا أمينة .. هو يقف بجوارك دوماً و ساعدك في الحصول على الكثير من الفرص في الإعلانات التي يخرجها .

تنهدت أمينة و هتفت :

- زاهر ابن حلال و أنا أقدره كثيراً .. المشكلة هي أنه أصبح يلح كثيراً على مسألة الزواج و لا أعرف كيف أجعله يتفهم موقفي .. أنا رهنت حياتي على سارة و رامي و المسئولية التي على أكتافي و لا مكان في قلبي أو حياتي للحب أو الزواج .

# الفصل السابع

في الصباح التالي كان فؤاد يتناول فطوره في غرفة نومه عندما دخل إليه فهمي و ألقى عليه تحية الصباح ؛ لم يكن لدى فؤاد سوى موضوع واحد ليتحدث عنه لذا هتف بسرعة :

- هل تحريت الأمر كما طلبت منك ؟

هتف فهمي ببطء :

- تماماً كما طلبت يا أبي و لحسن الحظ لم يكن هذا صعباً فالفتاة لا زالت تعمل في الإعلانات ؛ حتى أنها قد عملت في عدة إعلانات لحساب بعض مشروعاتنا في السنوات الماضية .. و تأكدت من أنها قد أنجبت توأماً بعد وفاة فريد بشهور قليلة .. أغلب الظن أنها قد احتفظت بالجنين لكنها لم تقيده باسم فريد و لا بأي اسم .. كلفت أحدهم بفحص بيانات شبكة السجل المدني و لم أعثر على شهادة ميلاد باسم الأم / أمنية وهدان و من الواضح أن تهديدك كان فادحاً للحد الذي جعلها تصمت طوال هذا الوقت عن حق أولادها في النسب إلى أبيهما الحقيقي .

هتف فؤاد في لهفة :

- توأم ؟ .. كما أنت و فريد ؟ .. أقصد .. هل هما صبيان ؟ ..

أخرج فهمي بعض الصور الفوتوجرافية من جيب سترته و وضعها أمام أبيه و هو يهتف :

- و لد و بنت .. رامي و سارة .. التقط لهما أحد رجالي هذه الصور بالأمس و هما يتسوقان مع أمهما بدون أن تتنبه طبعاً .. ما العمل الآن يا أبي ؟

ظل فؤاد يتأمل الصور و نظرة ظافرة تملأ عينيه قبل أن يهتف :

- قبل كل شيء يجب أن نتأكد من أنهما من صلب أخيك فتلك العاهرة ليست أهلاً للثقة و ربما كانت على علاقة مع رجل آخر أو عدة رجال في نفس الوقت .

ظهر الضيق على وجه فهمي و هتف بحدة :

- اعترفت بنفسك بأنك قد مزقت عقد زواجها بيدك ؛ هذا يجعلك آخر شخص يحق له أن يتهمها .. صحيح أنني لا أعترف بالزواج العرفي خاصةً الورقة الغبية التي وصفتها لكننا على الأقل يجب أن نحترم أن هذا كان قرار فريد و مسئوليته .. الفتاة كانت في السادسة عشر من عمرها بينما هو في السادسة و العشرين و هذا يجعل ما حدث بينهما جريمته هو بالدرجة الأولى .

لوى فؤاد شفتيه .. لم يكن حديث فهمي يعجبه و لا الطريقة التي يحدثه بها لكنه لم يرغب في خوض مناقشات

جانبية لا طائل من ورائها ؛ كان يضع نصب عينيه قضيته الأساسية ألا و هي الحصول على ولي عهد لاسمه و ثروته لذا هتف في برود :

- لن أمنح رامي هذا اسمي و ثروتي و مستقبل عائلتي قبل أن أتأكد من أنه من صلبي .

هتف فهمي في حزم :

- و هذا ما فعلته .. تحايلت للحصول على عينة من دمهما و تم إجراء تحليل الحمض النووي عليهما و مضاهاتهما بعينة من دمي و النتيجة مؤكدة .. رامي و سارة أحفادك و لهما كل الحق في اسم فريد و في ثروتك .. و حتى بدون التحليل يا أبي يكفي أن تنظر إليهما .. رامي يشبهني أنا و فريد كثيراً عندما كنا في مثل سنه أما سارة فعلى الرغم من أنها قد ورثت جمال أمها و ملامحها الرقيقة لكن لها نفس عيون أبيها – رحمه الله -

هتف فؤاد في سرور :

- أريدهما حالاً يا فهمي .. يجب أن يكبرا هنا في هذا القصر و ...

قاطعه فهمي هاتفاً :

- هذا يحتاج إلى ترتيب يا أبي .. و لا أظن أنه سيكون بالسرعة أو السهولة التي تتمناها .. لا يمكن أن نتوقع

موقف أمهما منا بعد ما فعلته معها و ما إذا كانت ستقبل بأن تتنازل لنا عن حضانة أولادها أم لا .. ثم إن مسألة نسب الأولاد إلى فريد الآن و بعد موته بخمس سنوات كاملة مسألة تحتاج إلى قضية و ربما عدة قضايا و لن يكون ممكناً قبل أن تعترف المحكمة بهذا النسب .. و سيواكب هذا فضيحة كبيرة له و لنا و ستؤثر على سمعتنا و مصالحنا الاقتصادية في نفس الوقت .. أظن أننا نحتاج لأن نهدأ و نفكر بروية و حكمة قبل أن نقدم على أية خطوة .

نظر فؤاد إلى ابنه في ازدراء .. طالما كان تفكيره المستقيم هذا يحنقه و يجعله يستغرب كثيراً أن شخصاً له هذه العقلية استطاع أن يملأ مقعده و يدير امبراطوريته التي كان يديرها بمنتهى الدهاء .. و هتف :

- أنت لم تتعلم شيئاً مني .. الطرق المستقيمة في الأمور المعقدة لن تأخذك إلا إلى متاهات لا آخر لها .. من قال لك أنني سألجأ إلى القضاء أو أنني أنتظر مباركة تلك الساقطة لقراراتي ؟ .. ما هو ملكي أنتزعه بيدي و لا أسمح لأحد بأن ينازعني فيه .

عقد فهمي حاجبيه بشدة و هتف :

- لا أفهم .. ماذا ستفعل بالضبط ؟

هتف فؤاد في حزم :

- سأحضر التوأم إلى القصر و سأمنحهما شهادتا ميلاد باسمك .. أنا لن أشهر بابني في المحاكم و الصحف بعد موته و لن أفضح نفسي بيدي .. الأولاد من الآن سيكونون أولادك و سأرتب مع صلاح أن تقبل نيفين بأن تكون أمهما .. أنا مستعد لأن استرضيه هو و ابنته بأي ثمن حتى ...

هتف فهمي في استنكار :

- هل تهذي يا أبي ؟ .. أنت تخطط لارتكاب عدة جرائم في نفس الوقت .. خطف و تزوير و خلط أنساب و هلم جرا .. كيف ستقنع أمنية هذه بالتخلي عن أولادها ؟ .. لا تقل أنك ستدفع لها لأنها لو كانت من هذا النوع لما تخلت عن ميراثها و ميراث أولادها و لاذت بالصمت لكل هذا الوقت ؛ لما لا تتصرف كالمجرمين و تكري عليها ؟ .. فهذا ما ينقصنا .. نحن تجار يا أبي لا زعماء عصابة و الطريقة التي سنعالج بها هذه المسألة يجب أن تكون قانونية و انسانية لأنني لن أسمح بغير هذا .

نهض فهمي و غادر القصر و هو حانق على أبيه ؛ يعرف أن الكثير من أعمال المؤسسة قبل أن يستلم قيادتها لم يكن يجري بطريقة قانونية كما يدرك أن والده شخص متسلط بطبيعته كما جعله ماله و نفوذه متجبراً حتى على أولاده

و ربما هذا ما دفعه ذات يوم للسفر إلى أمريكا بحجة إكمال دراسته العليا هناك فقد كان أهم ما يرغب به هو أن يفر من سطوة والده عليه و تحكمه بحياته .

جلس فهمي على الأريكة الخلفية لسيارته الجديدة و التي انطلق السائق بها و هو يفكر في أنه لم يهرب طويلاً من جبروت والده فقد جعله موت توأمه يعود خانعاً و مجبراً إلى أبيه و يفعل كل ما يطلبه منه سواء برضاه أو على رغم أنفه .. رغبته الدائمة في إرضاء والده و خوفه على حياته من أي انفعال جعله يقدم الكثير من التنازلات كان أولها أن يترك دراسته و ما يخططه لمستقبله حتى يرث عرش أبيه و آخرها الزيجة الغبية التي ورطه بها و ربما لا يكون هذا آخر المطاف .

أخرج فهمي من جيب سترته هاتف فريد و ظل يتأمل الصور و الفيديوهات التي عليه ؛ لاحظ كم كان أخوه يبدو مغرماً بالفتاة التي كانت آية في الجمال رغم صغر سنها .. فكر فهمي في أنه لا يستطيع أن يلوم أخاه على أنه قد تزوج الفتاة التي أحبها سراً من خلف ظهر أبيه فقد كان من المتوقع أن يقيم أباه الدنيا و لا يقعدها لو علم بهذه الزيجة التي لا تناسب كبرياءه و خططه لمستقبل العائلة ..

فكر في أنه لو كان مكانه لما غرر بالفتاة التي أحبها و لحارب الدنيا من أجلها لكن من هو ليحكم عليه الآن .. في النهاية تحكم فؤاد في مصير كل واحدٍ منهما كما يريد و شكل له حياته و مستقبله و لا يدري فهمي لما قرر الآن أنه لا مزيد من التنازلات و لن يتراجع أمام جبروت أبيه لأنه لن يسمح بأن يصبح أولاد فريد ضحايا أبيه و للمرة الثانية .

أخرج فهمي هاتفه و أجرى مكالمة مع صاحب شركة إعلانات كبيرة كانت المؤسسة تتعامل معها باستمرار و هتف :

- اسمع يا خليل .. أريد أن أكلفك بحملة إعلانية كبيرة لكل القرى السياحية التي تديرها المؤسسة و المدن السكنية الجديدة التي تملكها و لي شرط واحد .. هناك فتاة تدعى أمنية عملت في بعض دعايا قرانا من قبل ؛ هل تتذكرها ؟ .. أريد أن أقابل الفتاة اليوم .. على أن تكون المقابلة في مكتبك و بدون أن تعرف الفتاة أنني من سيبرم إتفاق الحملة معها لا أنت .. هل هذا واضح ؟

# ***الفصل الثامن***

كانت أمينة تشعر بالاستغراب عندما اتصل بها زاهر و أخبرها بأنه ينتظرها في سيارته أسفل البناية التي تقيم بها و معه لها اخبار رائعة ؛ ارتدت ثيابها بسرعة و نزلت إليه و هي تتساءل عن السبب الذي دفعه بالمجيء إليها بدون موعد مسبق على خلاف العادة .

ركبت في السيارة بجواره و هي تتوقع أن يخبرها زاهر بما يرغب في قوله ثم يذهب إلى حال سبيله و تعود إلى شقتها لكنها فوجئت عندما انطلق بالسيارة و هتفت :

- ماذا هناك ؟ .. لا تقل أن شركة الإنتاج قررت توقيع عقد الفيلم الآن .

هتف زاهر في حماس :

- بل أفضل من هذا بكثير .. خليل مراد اتصل عليّ منذ ساعة تقريباً و قال أنه قد اختارك لتكوني نجمة حملة إعلانية كبيرة لإحدى أهم المؤسسات الاقتصادية التي يتعامل معها .. الحملة لن تقل عن عشر إعلانات و بأعلى أجر يمكن أن تتقاضينه في الإعلان الواحد فصاحب المؤسسة قد اختارك بالاسم .. خليل حاول الاتصال عليكِ

لكن هاتفك مغلق و هذا لحسن حظي لأبلغك بنفسي بهذا الخبر السار .

ابتهجت أمينة و هي تهتف :

- عشر إعلانات دفعة واحدة .. هذا أكثر من رائع يا زاهر .. هذا قد يؤمن نفقات أسرتي لعدة أشهر قادمة .. ستكون هذه الإعلانات من إخراجك طبعاً ؛ أليس كذلك ؟

هتف زاهر في حماس :

- و هذا أجمل ما في الأمر فسيجعلني أراكِ يومياً حتى نهاية التصوير .. اليوم الذي لا أراكِ به يا أمنية لا يحتسب من عمري .

تنهدت أمينة و همست :

- تكلمنا في هذا من قبل ؛ أليس كذلك ؟ .. أنا أعتز بصداقتنا و أقدر وقوفك معي و دعمك لي خاصةً عندما كنت أخطو خطواتي الأولى في هذا المجال و لكن .. أنا لا أحبك يا زاهر و لا أفكر في الحب أصلاً .. حياتي هي رامي و سارة و أخواتي البنات و أمي المريضة و العمل الذي يجب أن أكد به من أجلهم جميعاً .. حملي ثقيل و ظروفي مرتبكة و لا أريد أن أورطك معي في مشاكلي .. أرجوك حاول أن تفهم هذا و لا تجبرني على أن أضطر لقطع

علاقتي بك فأنت تعلم أننا فعلاً لا نستطيع أن ننكر أن صداقتنا أكبر و أهم من أن نهدرها .

كالعادة لم يعتبر زاهر كلامها هو النهاية الحاسمة للحديث في هذا الموضوع ؛ تركها أمام شركة الإنتاج و رفض الدخول معها ؛ أخبرها بأن خليل طلبها وحدها و أن لديه ارتباطات أخرى ثم انطلق بسيارته مبتعداً عنها ..

دخلت أمينة إلى شركة الإنتاج و ذهبت مباشرةً إلى مكتب خليل الذي كان ينتظرها في مكتب سكرتيرته و أشار إلى باب مكتبه و هو يهتف في حماس :

- ادخلي بسرعة يا أمنية .. رئيس مجلس إدارة المؤسسة التي اختارتك لحملتها ينتظرك بنفسه منذ بعض الوقت .. هو يريد أن يراكِ عن قرب و يتعرف عليكِ بنفسه قبل توقيع العقود .

قطبت أمينة جبينها و هتفت في استنكار :

- بنفسه ؟! .. لما ؟ .. أليس لديه مدير علاقات عامة و تسويق أو حتى مجرد مسئول عن الإعلانات ؟

هتف خليل بسرعة :

- ادخلي و تكلمي مع الرجل يا أمنية و لا تدعيه ينتظر طويلاً .. هيا .. لما تترددين ؟

طرقت أمينة باب المكتب قبل أن تدخل إليه و هي تشعر بالفضول قبل أن تشهق في ذهول و يشحب وجهها بشدة و هي تحدق في فهمي الذي جلس خلف مكتب خليل و هو يتأملها .. فتاة صهباء ممشوقة القوام ؛ لا يزال النمش يتناثر على وجهها الفتي و بالكاد قد بلغت سن الرشد .. ابتسم فهمي و هتف :

- أنتِ شاحبة كثيراً يا آنسة .. هكذا ينادونك حتى الآن .. الآنسة أمنية .. أليس كذلك ؟ .. ما بكِ ؟ .. هل تحدقين إلى شبح ؟

همست أمينة في توتر :

- أشعر بأنني أحدق في شبح بالفعل .. أنت ميت منذ خمس سنين و الناس حسب علمي لا يعودون من الموت .

نهض فهمي و دار حول المكتب و هو يهتف :

- أنا لست فريد يا أمنية بل فهمي .. توأمه .. ألم يقل لكِ فريد قط أن له شقيقاً يبدو كصورة طبق الأصل منه ؟ .. نحن توأم متماثل .. هو مات لكنني لا زلت حياً ؛ و لحسن الحظ لا زالت أمامي فرصة لإصلاح أخطاءه .

ازداد وجه أمينة شحوباً و هي تهتف :

- ماذا تقصد ؟ .. أنا لا أفهم عن ماذا تتحدث .

استند فهمي إلى المكتب و هتف ببطء :

- عن الأولاد يا أمنية .. أولاد أخي – رحمه الله - .. رامي و سارة .. الأمانة التي تركها لديكِ و بات من الضروري الآن أن أرعاها .. أنا أعرف أن ....

انتفضت أمنية و هتفت في فزع و ثورة :

- لا أنت و لا أخوك لكما شأن بتوأمي .. رامي و سارة أمانتي أنا .. مسئولان مني و لن أسمح لك بانتزاعهما ؛ هل تفهم ؟ .. أنا لم أقل قط أنهما من دم أخيك و والدك كان مستعداً لأن يسفك دمهما و هما لا زالا جنيناً في رحم أمهما حتى يتخلص منهما .. ألم يقل لك أنه مزق الورقة الوحيدة التي تمنحهما شرعية وجودهما في الحياة ؟ .. ألم يقل لك ماذا فعل مع الفتاة التي وثقت بأخيك و سلمته كل حياتها ؟ .. طردها من شقة زوجها و رماها في الشارع .. أرسل لها سيارة تضربها حتى الموت لتفقد الجنين .. اعتبرها قد ماتت هي و جنينها و انسَ تماماً أن لك أولاد أخ .. أولاد فريد حكم عليهما أبوك بالموت و عناية السماء فحسب هي التي منعت تنفيذ الحكم و لا يمكنك أن تتبجح و تسأل عنهما الآن .

أمسك فهمي بذراعها و هو يهتف في حدة :

- اخفضي صوتك .. لا أريد أن يسمع أحد ما نقوله هنا و لا أسمح بأن يخوض أحد في سمعة أخي و هو ميت ؛ هل فهمتِ ؟

لاحظ أنه يؤلمها فترك ذراعها و هو يردف :

- لستِ هنا لأسألك عما إذا كان رامي و سارة أولاد أخي أم لا .. أنا واثق تماماً من أنهما من صلبه و لا أحتاج إلى كلمة من فتاة مثلك لأعرف لحمي و دمي .. نحن هنا لنناقش كيف سنصحح حماقتك مع أبيهما و نمنحهما الآن شرعية وجودهما في الحياة التي تتحدثين عنها .. الأولاد حتى الآن لا وجود لهما في السجلات الرسمية .. لم تستخرجي لهما شهادة ميلاد .. كيف تظنين أنهما سيلتحقان بالدراسة بعد شهور قليلة ؟ .. كيف تتخيلين أن يستمرا في حياتهما بدون أوراق رسمية ؟ .. كانت لديكِ الوقاحة الكافية لتواجهي العالم بخطيئتك و لم تتخلصي من آثارها و لكن ماذا عن رامي و سارة ؟ .. كيف ستواجهينهما بعارك ؟ .. بل كيف ستتركينهما يواجهان العالم و هما مكللان بالعار بسببك ؟ .. فكري يا أمنية .. فكري في مصلحتهما قبل أي شيء .

احتقنت عيونها بالدموع و هي تهتف :

- و هل مصلحتهما هي أن تنتزعهما مني ؟ .. أنا وقفت أمام العالم لأجلهما و تحملت أن يموت أبي ذليلاً أمام عيني و أن تعيش أمي كسيحة و غاضبة عليَّ .. تحملت أن أترك بيتي و عائلتي و الجيران الذين تربيت بينهم و أهرب بهما تحت ستار الليل و أعيش بعيداً عن كل من يعرفني .. تحملت أن أضحي بدراستي و أعمل ليل نهار لأؤمن لهما و لو الحد الأدنى من المعيشة هما و أخواتي المساكين اللاتي لطخ أبوك سمعتهن و هو يمزق ورقة الزواج بلا رحمة و لا ضمير .. تحملت ما هو فوق طاقتي لأجلهما بما في هذا نظرة الاحتقار التي لا تستطيع أن تخفيها في عينيك الآن و أنت تحدق بي كما لو كنت عارية أمامك .. و مهما كان منطقك جميلاً و منمقاً فأنا لن أثق بك لأنني لست مستعدة لأن أخسرهما ؛ هل تفهم ؟ .. مستعدة لأن أضحي بحياتي لأجلهما و لن يكون لديّ مانع في أن أضحي بحياتك أنت لأنني سأقتلك بلا تردد لو حاولت أن تنتزعهما مني .

# الفصل التاسع

لا تعرف أمينة كيف اندفعت تغادر المكتب و الشركة و تعود إلى بيتها في أول سيارة أجرة وجدتها أمامها ؛ كانت مذعورة و هي تشعر بأن ما ستواجهه في الأيام القادمة هو إعصار قد يكتسح كل شيء و يحطم كل ما حاولت أن تبنيه في السنوات الماضية .. تعرف أن فهمي يتحدث عن مستقبل رامي و سارة و يستطيع أن يمنحهما الكثير لكنه سيبدأ حتماً بانتزاعهما من حضنها و هي تفضل الموت على أن تفرط فيهما له .

دخلت أمينة إلى الشقة و هي تمسح دموعها ؛ لا تريد أن يرَ أحد كم هي مضطربة و بخاصة الأولاد .. شهقت في ذعر عندما وجدت مريم و سلا و سما فاقدات الوعي و مقيدات المعاصم و الكواحل بحبال متينة و لم يكن رامي و سارة موجودان في الشقة .

صبت أمينة دورقاً من الماء فوق رأس مريم و فكت وثاقها و مريم تهتف في ذعر :

- رجال ضخام الجثة اقتحموا الشقة يا أمينة و تهجموا علينا .. لم نجد حتى الفرصة لنصرخ و نستغيث بالجيران .. ماذا يحدث يا أمينة ؟ .. و أين رامي و سارة ؟

هتفت أمينة في لوعة :

- هو أخذهما لكنني سأستعيدهما .. لن أسمح له أبداً بأن ينتزعهما من حضني .

تركت أمينة أختها تفك وثاق سلا و سما و تطمئن على أمهما و اندفعت تغادر الشقة و هي لا تعرف إلى أين ستذهب و لا ماذا ستفعل .. كانت تعرف المقر الإداري لمؤسسة الجبلاوي لكنها لم تذهب إليه .. كانت واثقة من أن الأولاد في قصر الجبلاوي الآن و هو المكان الوحيد الذي كان من الممكن أن تقصده لكنها لم تكن تعرف عنوانه .

عادت أمينة إلى شركة الإعلانات و هي منهارة ؛ تشاجرت مع خليل ليمنحها عنوان القصر لكنه رفض أن يفعل فقد كانت هيئتها تثير القلق و هو لا يريد أن يتورط بسببها مع شخص مثل فهمي الجبلاوي .. بينهما الكثير من المصالح و لا يستطيع أن يخسره لكنه لم يستطع أن يرفض عندما هتفت أمينة :

- على الأقل اتصل عليه .. دعني أتحدث معه .

اتصل خليل على فهمي و هو متردد ؛ رن الهاتف طويلاً قبل أن يتلقى الاتصال و يهتف خليل في توتر :

- أمنية هنا و تسأل عنك يا فهمي بك .. أنا آسف و ...

اختطفت أمينة الهاتف من يده و هتفت في ثورة :

- أين رامي و سارة ؟

أتاها صوت فهمي يهتف في حيرة حقيقية :

- ماذا تعنين بأين رامي و سارة ؟ .. ماذا حدث ؟

لم تستطع أمينة تصديقه و هي تهتف في ثورة :

- رجالك اقتحموا شقتي و روعوا أخواتي و سرقوهما .. أريد أولادي ؛ هل تفهم ؟ .. أريدهما حالاً .

فكر فهمي في أن والده لم يضيع أي وقت لذا هتف في حزم :

- اسمعي يا أمنية .. انتظريني أمام قصر الجبلاوي و سأوافيك هناك لكن لا تحاولي الدخول قبل وصولي .. سترين أولادك و سنتحدث حول مستقبلهما معاً .. اكتبي العنوان .

أنهى الاتصال معها و اتصل على والده و هتف في ضيق :

- ماذا فعلت يا أبي ؟ .. ألم نتفق على أننا لن نرتكب جريمة حتى نستعيد حقنا في أولاد فريد ؟ .. كيف تفعل هذا بأحفادك ؟ .. ألم تخشى أن يروعهما رجالك أو يؤذونهما و لو بدون قصد ؟

هتف فؤاد في عناد :

- الأولاد بخير و في حضن جدتهما الآن .. سيبكيان لبعض الوقت لكننا سنلهيهما حتى ينسيان تلك الساقطة و ينتهي الأمر .

هتف فهمي في حدة :

- هل تظن أنك ستعوضهما عن حضن أمهما بحفنة من اللعب و الثياب الجديدة ؟ .. و هي .. المسكينة التي جنيت عليها من قبل و تحملت تنكيلك بها و حافظت على لحمك و دمك ؛ أليس لديك مانع من أن تظلمها مرتين ؟ .. صمتت في الماضي خوفاً على رامي و سارة ؛ لكن ما الذي يمكن أن يسكتها الآن ؟ .. هل تريدها أن تشهر بنا في كل مكان و تفضحنا ؟

هتف فؤاد في قسوة :

- لن يصدقها أحد و أستطيع إخراسها ببعض المال .. و إذا لم يسكتها المال سيتكفل بها أحد رجالي و يسكتها للأبد .. أنا لن أسمح لتلك الحشرة بأن تستولي على أحفادي و تحرمني من وليّ عهدي .. هل تفهم يا فهمي ؟ .. رامي و سارة سيحملان اسمك و لقب العائلة سواء فعلت هذا برضاك أو رغماً عنك لأنني لست مستعداً لأن يضيع اسم الجبلاوي بسبب فاشل عقيم مثلك .

قطع فؤاد الاتصال فنهض فهمي من خلف مكتبه و ذهب إلى سيارته التي انطلق بها السائق نحو القصر حيث وقفت أمينة قرب الباب و هي تبكي في لوعة ؛ نظرة واحدة إلى المكان المهيب و الحراسة التي حوله كانت كافية لتجعلها تدرك كم هي ضعيفة و لن يمكنها أن تقف أمام جبروت ثروة و نفوذ عائلة الجبلاوي حتى و هي صاحبة حق .

أمر فهمي السائق بأن يتوقف أمام أمينة قبل أن يفتح لها الباب و يسمح لها بالجلوس بجواره ثم أمره بأن ينطلق مبتعداً عن القصر فهتفت أمينة في لوعة :

- لأين ستذهب ؟ .. أريد أن أرَ رامي و سارة .. أتوسل إليك .. أريد أن أراهما فحسب ..ما يدريني أنهما بخير .. ربما قتلتموهما كما حاولتم أن تفعلوا من قبل .

أمر فهمي السائق بأن يركن السيارة على جانب الطريق و أن يترجل منها و يبتعد عنها فأطاعه السائق فوراً و عندما أصبح وحده مع أمينة و في مأمن من أن يسمعه أحد التفت نحوها و هتف في هدوء :

- اسمعيني يا أمنية .. هناك أمور أريدها أن تكون واضحة أمامك .. أولها أنني لا أوافق على أي تصرف فعله أبي في الماضي و لا أقره عليه .. أنا لم أكن موجوداً في القاهرة عندما مات أخي و لم أعلم شيئاً عن زواجه حتى بضعة أيام مضت .. هذا لا يمنع من أنني لن أسمح أبداً بأن يتربى أولاد أخي – رحمه الله - بدون اسم و لا هوية و أن يخسرا حقهما الطبيعي في ثروة العائلة و الحياة الرغدة التي أستطيع أن أوفرها لهما .. و ثانيها أنني لم أشارك فيما حدث اليوم و قد فعله أبي بدون علمي أو موافقتي .. هو يرغب في الاستيلاء على الأولاد لكنني أرغب في أن أعوضهما عن أبيهما – رحمه الله – و أرد لهما حقوقهما فيه .. و لن أقبل بأن أحرمهما من حضن أمهما بعد أن حرمهما القدر من أبيهما .. أريد مشاركتك في تربية الأولاد لا انتزاعهما منكِ و هذا يجعلنا نصل إلى ثالثاً .

صمت فهمي و تأمل أمينة التي كانت تحدق في وجهه بنظرات زائغة بينما وجهها الشاحب تغرقه الدموع ؛ بدت له في تلك اللحظة بريئة كطفلة تائهة و لا تدري ماذا تفعل

في زحام الحياة حتى أنها ربما كانت أضعف من رامي و سارة و ربما في حاجة إلى رعايته أكثر منهما .. تنهد فهمي قبل أن يردف :

- أبي لم يأخذ رامي و سارة إلى القصر فقد أجريت بضع اتصالات و تأكدت من هذا بنفسي .. لنا منازل أخرى في القاهرة و الجيزة و الغردقة و الاسكندرية و شرم الشيخ و حتى مرسى علم .. إذا أراد أبي إخفاؤهما بين هذه المنازل و نقلهما طوال الوقت لن تتمكني من رؤيتهما و لا بعد عشرة أعوام لكنني لن أسمح بهذا .. هناك طريقة واحدة ستعطيكِ الحق في أن تقيمي في القصر و تستعيدي الأولاد و أن يكبروا في حضنك و تحت رعايتي و هذه الطريقة هي الحل الوحيد الذي أملك تنفيذه بدون الرجوع إلى أبي لأنني أنا و أنتِ فحسب نستطيع تنفيذه .

صمت فهمي مرة أخرى فهتفت أمينة في ضراعة :

- أنا سأفعل أي شيء يا فهمي بك .. كل ما أريده هو رامي و سارة .. رامي و سارة فحسب .

هتف فهمي في حزم :

- رامي و سارة في حاجة لكِ كما هما في حاجة إلى شرعية وجودهما في الحياة و هذا ما نستطيع أن نمنحهما إياه إذا ذهبتِ معي الآن إلى أقرب مأذون .. تزوجيني يا أمنية

و أضمن لكِ أنه لا أحد سيستطيع انتزاع سارة و رامي من حضنك بعد الآن .

# الفصل العاشر

شحب وجه أمنية بشدة و بدت الصدمة في عيونها ؛ كان من الواضح أن عرض الزواج هذا كان هو آخر ما يمكن أن تتوقعه و لم تكن تدري بماذا تجيب عليه لكنها كانت تعرف أنها لن تستطيع أن ترفضه ما لم تكن مستعدة لأن تخسر رامي و سارة إلى الأبد .

تأملها فهمي و هو يحاول أن يرَ في عينيها ما الذي تفكر فيه ؛ يعرف أن تجربتها مع أخيه كانت مرة بكل المقاييس و أن ما فعله أبوه و ما زال يفعله معها لم يترك لها فرصة لأن تثق به و لم يدري كيف يجعلها تصدق أنه لا يفكر في شيء سوى مصلحة رامي و سارة و أنه لن يؤذيهما أو يؤذيها بأي شكل من الأشكال .

طال صمتها فهتف فهمي في هدوء :

- يمكنك أن ترفضي لكنني في هذه الحالة لا أدري كيف سيمكنني مساعدتك .. أنا متزوج بالفعل و أبي يخطط لقيد رامي و سارة باسمي أنا و زوجتي .. قد أستطيع تعويض أولاد أخي عن أبيهما لكن امرأة باردة مثل نيفين لن تستطيع تعويضهما عن أمهما لذا لا أرغب في أن

أنتزعهما من حضنك .. كل ما أريده يا أمنية هو أن أفعل الأفضل للأولاد و أريدك أن تساعديني على هذا .

همست أمينة ببطء :

- أمينة .. اسمي أمينة .. أمنية هي فتاة الإعلانات و ليست هذه من ستتزوجها .. أنت ستتزوجني أنا و أنا .. أنا أريد أن أضم رامي و سارة في حضني دون أن أحرمهما من كل ما تستطيع أن تمنحه لهما و أوله لقب العائلة الذي يستحقانه و لكن .. أنا لا أريد أن أكون زوجة .. أريد أن أكون أمهما فحسب .

أشار فهمي للسائق بأن يعود و هو يهتف :

- لا أستطيع أن أمنحهما اسم الجبلاوي ما لم أمنحه لكِ أولاً .. و عدا هذا سيظل الأمر مجرد إتفاق مصلحة من أجل الأولاد بدون حقوق أو واجبات لا أرغب في أن أحصل عليها أو أن أؤديها .. أنا متزوج بالفعل و نيفين قد تنسفنا معاً قبل أن أفكر في دخول غرفتك فأنتِ لا تعلمين كم هي غيورة و استحواذية و متجبرة .

شعور غريب انتاب أمينة و هي تضع يدها في يد فهمي و تردد عهود الزواج ؛ عهود تمنحها الحق القانوني في أن تحمل اسمه و تعيش في بيته و تربي أولاد أخيه في حضنها و عدا هذا فقد كان لزاماً عليها أن يظل هذا

الزواج مجرد حبر على ورق و لا يدخل إلى حيز التنفيذ أبداً حتى لا يكتشف فهمي سوء التفاهم الذي وقع به ؛ و على كل حال هي لم تكن تنتظر أن تكون زوجة حقيقية لرجل لا تعرفه لكنها تعرف القليل عن العالم الذي أتى منه .. عالم فؤاد الجبلاوي الذي لم يكن ليتردد في أن يسحقها و يسحق أسرتها كلها لو كان هذا يحقق له مصلحة و بدون أن يسأله أحد أو يحاسبه عما يفعل و كأنه يسحق حشرة بحذاءه الجلدي الذي يشتريه غالباً بما يكفي لإعالة أسرتها كلها في شهرٍ كامل .

كان فهمي يشعر بأناملها التي ترتجف بين أصابعه و هو يهتف في حزم :

- و أنا قبلت زواجك .

كان يقولها بكل صدق و أمانة و هو واثق من أن هذه الفتاة المذعورة التي تشيح بعيونها عنه ستعيش آمنة في عالمه لأنه سيفعل كل ما في وسعه ليحميها من كل من يمكنهم إيذاءها و أولهم زوجته و أبيه ..

ركبت أمينة بجواره في السيارة قبل أن تهتف في لهفة :

- هل يمكن أن نذهب إلى سارة و رامي الآن ؟ .. لابد من أنهما مذعورين و لن يهدئا قبل أن أضمهما إلى صدري .

هتف فهمي و هو يسترخي في مقعده و هتف :

- اطمئني .. سنذهب الآن إلى القصر و نعلن زواجنا .. أبي سيعارض قليلاً فهو لا يحب أن يتحدى أحد سلطته أو أن يتصرف من تلقاء نفسه .

هتفت أمينة في توتر :

- لكنك قلت أن الأولاد ليسوا في القصر .. ثم إنني يجب أن أعود إلى بيتي فقد تركت أمي و أخواتي مذعورات بعد ما فعله رجال أبيك بهن .. أعد لي الأولاد حتى يمكنني أن ..

التفت نحوها فهمي و هتف في هدوء :

- من الواضح أن الصورة لم تتضح أمامك تماماً بعد يا أمينة .. رامي و سارة سيتربيان في قصر العائلة و هذه مسألة لا فصال فيها .. و قد أصبح القصر بيتك اعتباراً من عشر دقائق مضت لذا سيذهب كلانا إلى هناك الآن .. سأتفاهم مع أبي و أحل مشكلة زواجنا المفاجئ معه و سأرتب لكِ أمورك كلها .. اتصلي على أخواتك و أبلغيهن بأنكِ و الأولاد بخير لكنكِ مضطرة لقضاء هذه الليلة خارج البيت .. أنا واثق من أنهن معتادات على قضاءك لبعض الليالي خارج البيت ؛ أليس كذلك ؟

لمعت الدموع في عيون أمينة فأدرك كم جرحها التلميح المستتر في كلامه فهتف في توتر :

- آسف .. لم أقصد الإهانة .. كل ما هناك هو أن طبيعة عملك كانت تستلزم بقاءك خارج البيت ليلاً أحياناً أو سفرك لأي مكان .. أنتِ ممثلة و بعض المشاهد يتم تصويرها ليلاً ؛ أليس كذلك ؟

انهمرت دمعة على أهداب أمينة و همست :

- ربما لم تقصد الإهانة لكن هذا لا يمنع من أنك في قرارة نفسك تحتقر الفتاة الفقيرة التي تطعم أولاد أخيك من التمثيل و الرقص .. أنا لن أقول أنك تظلمني أو أنني لا أستحق احتقارك لي .. أكل العيش مر و أنا فعلت كل ما يتوجب عليّ من أجل ستة رقاب معلقة في رقبتي و ليس لهن عائل غيري .. قد لا تعجبك الطريقة التي أكسب بها عيشي لكنك مضطر لأن تتقبلها لأنني ليس أمامي غيرها .. أنت ستتكفل بالأولاد لكنهم ليسوا كل المسئولية التي عليّ أن أتحملها و ...

رفع فهمي حاجبه و هو يهتف :

- ماذا أفهم من هذا ؟ .. أنكِ تتخيلين بأنني سأسمح لكِ بذلك العمل مرة أخرى .. اسمعي يا أمينة .. أمنية فتاة الإعلانات ماتت اليوم و لن أسمح لامرأة تحمل اسمي بأن تتحرك خطوة بدون موافقتي .. أنتِ الآن أمينة الجبلاوي و هذا يعني أنكِ لن تقلقي بسبب المال و لا للحظة أخرى في حياتك .. قلت أنني سأرتب أمورك و هذا يشمل شقة

جديدة و مناسبة لأسرتك و حساب مصرفي يسمح لكِ بالإنفاق عليها كما تشائين و على أعلى مستوى .. هل هذا واضح بما فيه الكفاية ؟

هتفت أمينة في حدة :

- أسرتي لا تعيش على الصدقة و أستطيع أن أتدبر أمورها بدون إحسانك .. نحن لن ...

زفر فهمي في حرارة قبل أن يهتف :

- اسمعي يا أمينة .. أنا لا صبر لي لأجادلك في مسائل لا قيمة لها فلديّ مشاكل أخرى كثيرة يجب أن أعالجها بسرعة .. تقبلي واقعك الجديد و حاولي الاستمتاع به .. أنا لن أمنحك صدقة بل أمنحك حقوقاً شرعية لكِ في رقبتي أولها مهرك و نفقتك .. ثم إنني مدين لكِ بما فعلتيه للأولاد خلال السنوات الماضية و يمكنك أن تعتبري أي شيء أفعله من أجل أسرتك مجرد رد للجميل .. هل هذا يناسبك ؟

توقفت السيارة داخل حديقة القصر فنظرت أمينة حولها في رهبة .. كان كل شيء حولها فخماً لدرجة أفزعتها و هي تدخل إلى القصر في يد فهمي .. كان فؤاد جالساً في مكتبه فدخل إليه فهمي و أمينة في يده و هتف :

- أقدم لك أمينة يا أبي .. أظن أنكما قد التقيتما من قبل لكنني أقدمها لك هذه المرة بصفتها الجديدة .. أمينة الجبلاوي .. زوجتي يا أبي .

نهض فؤاد عن مقعده المتحرك و هو يهتف في ثورة :

- هل فقدت عقلك ؟

هتف فهمي في حزم :

- بل فعلت الصواب ربما لأول مرة في حياتي .. أمينة الآن زوجتي و أم أولادي رامي و سارة و ستعيش هنا في هذا القصر و تربي أحفادك في حضنها .. ربما ليست هي الأم التي ترغبها لأحفادك لكنها الأم الوحيدة التي اختارها القدر لهما و يجب أن نرضخ لاختياره .. لا يجب أن يكون كل شيء في عالم الجبلاوي وفقاً لمقاييسك يا أبي فأحياناً علينا أن نقبل بأن بعض الأمور مقدر لها أن تحدث و لا يد لنا فيها بل علينا أن نذعن لها فحسب .

# الفصل الحادي عشر

صوت ضحكات طفولية صافية تسلل إلى أذني فهمي و جعله يستيقظ مبتسماً ؛ نهض من فراشه و دخل إلى الشرفة و وقف يتأمل بركة السباحة حيث كانت أمينة تلعب مع رامي و سارة و هي تحاول أن تعلمهما السباحة و هو الأمر الذي ما كان من الممكن أن تنجح فيه لأنها لم تكن تجيد السباحة من الأساس .

نظر إلى شرفة الغرفة المجاورة و شعر بارتياح و هو يرى ابتسامة عريضة على وجه أمه التي كانت تتنصت على صوت ضحكات أحفادها و هي تشعر بسعادة لم تعرف لها طعماً منذ سنين .. منذ فقدت فريد .. حتى فؤاد كان يجلس بجوارها و هو يشرب قهوته في هدوء و هو يشعر بالرضا .. أخيراً دبت الحياة في قصره و تحقق أمله رغم أن القدر عانده كثيراً و فرض عليه أموراً ما كان ليقبل بها لكن لا يهم .. فكل ما كان يهمه في النهاية هو وليّ العهد الذي شرف أخيراً و جعله يطمئن على مستقبل العائلة .

نظر فهمي إلى ساعة يده التي تشير إلى الثامنة صباحاً و فكر في أن عليه أن يكون الآن في الطريق إلى مكتبه لأن لديه اجتماعات و مقابلات و الكثير من الأمور المعلقة التي يجب أن ينجزها لكنه

بدلاً من أن يلبس بذته ارتدى ثوب سباحة و التقط منشفة كبيرة و نزل إلى حديقة القصر حيث ألقى المنشفة فوق أحد المقاعد و قفز في الماء .

أسرع رامي و سارة نحو فهمي و تعلقا في رقبته فضمهما إلى صدره في حنان و هو يهتف :

- هل تعجبكما البركة ؟ .. تعلما السباحة بسرعة حتى آخذكما إلى البحر الكبير فهو أكثر متعة .

كانت أمينة تتأمل الرجل الذي استطاع خلال لحظات أن يكسب محبة الطفلين الذين كانا من لحمه و دمه لكنهما لم يعرفاه قبل يومين فحسب .. فكرة أن يكون في حياتهما أب أخيراً كانت تشعر رامي و سارة بالسعادة كما أنهما وقعا في غرام القصر الكبير بحديقته الرائعة و بركة السباحة و كل وسائل الرفاهية التي كانت خارج نطاق إدراكهما .

حمل فهمي الطفلين على ظهره و سبح نحو أمينة التي كانت تتأمله في شرود و هي تتذكر كيف وقف في وجه والده الذي كان يرغب في طردها من القصر و حرمانها

من التوأم لكنه لم يسمح له .. لوح فهمي بيده أمام وجهها فأفاقت من شرودها و ضحكت هاتفة :

- رامي و سارة يشعران بأنهما قد عثرا على مصباح علاء الدين .. و قد يكون هذا قريباً جداً من الواقع فقد حققت لهما في ساعات ما لم يكونا ليحلما به لذا أريد أن أشكرك .. لا على كل السعادة التي يشعران بها و لكن على شهادات الميلاد ؛ كيف حصلت عليها بهذه السرعة ؟

ابتسم فهمي و هتف :

- بإشارة من يدي .. يمكنك أن تعتبريني عفريت المصباح يا أم رامي و ما عليكِ سوى أن تأمري فحسب .. أريد أن أعوضهما عن كل ما مر يا أمينة و أريدك أن تساعديني .. اخترت لهما مدرسة ممتازة و ستقبل أوراقهما اعتباراً من هذا العام .. سأوفر لهما مربية جيدة و مدرسة تتابع معهما دروسهما من الآن و سيمكنك اصطحابهما إلى النادي .. لدينا عضوية في أكثر من واحد و يمكنك أن تختاري الذي تحبين الذهاب إليه .. سيحصلان هناك على دروس السباحة و أية رياضة سيحبون ممارستها و سيكون كل هذا تحت إشرافك .. و يمكنك دوماً اقتراح أي شيء ترين أنه في مصلحتهما و ثقي في أنني سأوفره لهما .

هتفت أمينة في امتنان :

- أنا واثقة من هذا .

ابتسم فهمي و ساعد الأولاد على الخروج من البركة قبل أن يلتفت نحوها هاتفاً :

- هل أساعدك ؟

لم ينتظر جوابها بل حملها بين ذراعيه كما فعل مع التوأم و قبل أن يدفعها إلى خارج الماء كانت نيفين تقف عند رأسهما و هي تهتف :

- رائع .. من الواضح أنك قد أغلقت المؤسسة و تفرغت لشهر العسل .

التفتت أمينة إلى الشابة التي وقفت تحجب الشمس عن عيونهما ؛ لم تكن تستطيع أن ترَ ملامحها جيداً لكنها كانت تستطيع أن تشتم رائحة الدم الذي يغلي في عروقها أما فهمي فلم يكن يبالي بغضب نيفين التي هتفت في حدة :

- كيف تتخيل أنني سأقبل بأن تساوي بيني و بين هذه الحقيرة ؟ .. أنا ...

هتف فهمي في صرامة :

- اسمها أمينة .. حرم فهمي الجبلاوي .. و عندما تتحدثين معها أو عنها تكلمي بأدب و تخيري ألفاظك .. إهانة زوجتي إهانة لي و أنتِ تعرفين كيف يكون بطشي بمن يتخيل أنه يستطيع إهانتي .. ثم إنني لم أفرض عليكِ خياراتي .. تزوجت أمينة علناً و سيصلك إخطار رسمي

من المأذون بهذا حسب علمي و سأفعل كل ما تريدينه .. بما في هذا فض الشراكة التي بيننا هنا و هناك .

سحبت نيفين ذيول غضبها و دخلت إلى القصر فهمست أمينة في حيرة :

- كنت قاسياً كثيراً معها ؛ لما لم تشرح لها الوضع و تسترضيها ؟

التفت فهمي إلى أمينة ؛ كانت لا تزال بين ذراعيه في الماء و وجهها الجميل يحمل لمسة من القلق و الرهبة و ربما الخوف ؛ للحظة تأمل فهمي شفتيها و شعر بأنه يتوق لتقبيلها .. شعور غريب لم يعرفه من قبل و لا حتى مع نيفين .. دفع أمينة إلى خارج الماء برفق قبل أن يخرج خلفها و هو يهتف :

- الأمور بيننا معقدة يا أمينة و لا أستطيع أن أشرحها لكِ الآن و لكن سيمكنك استيعابها مع الوقت .. المهم .. ألا يحتاج رامي و سارة إلى ثياب جديدة و الكثير من الألعاب ؟ .. أتكلم عن جولة للتسوق في محلات لم تدخليها من قبل و لن تذهبي معهما وحدك فأنا سأكون معكم .. أريد أن يتعود التوأم على وجودي و يحبونه .

للحظة شعرت أمينة بأن كل ذرة في جسدها كانت تستشعر وجوده بشدة حتى أنها أرادت أن تهتف به :

- لكنني أنا لا أريد أن أتعود على وجودك و لا أن أحبك .

كان يوماً لا يمكن أن تنساه أمينة طوال حياتها ؛ صرف فهمي سائقه و قاد السيارة بنفسه ؛ يعرف أن أمه لا ترغب في أن يقود سيارته بنفسه منذ تعرض لذلك الحادث لكنه لم يكن يرغب في وجود غريب بينه و بين أمينة و الأولاد .. كان يسود جو من الألفة بينهم كأنهم عائلة واحدة منذ سنين ؛ ابتهج الأولاد كثيراً بكل ما اشتراه لهما من ثياب و دمى حتى تكدست بها سيارته أما أمينة فقد توترت كثيراً عندما أصر على أن يشتري لها ثياباً جديدة أسوة بالأولاد .. اختار لها بعضها على ذوقه و لم تستطع أن تقول له لا و عندما شعرت بالتعب صحبهم إلى مطعم فخم كان به ركناً للأطفال حيث تركت الأولاد و جلست معه .

كان فهمي يتأملها و هو يفكر في أن وجهها الخالي من مساحيق التجميل و النظرة الصافية في عينيها جعلاها تبدو كالأطفال و ربما ما كان أحد ليصدق أن هذه الشابة الفتية ليست عذراء و إنما هي أم لطفلين على وشك الإلتحاق بالدراسة .

أخرج فهمي هاتف فريد من جيب سترته و هو يهتف :
- رأيت بعض الفيديوهات التي كان شقيقي يحتفظ بها لكما .. و أنا أشاهدها فكرت في أن عاطفة جياشة تربط بينكما .. أو كانت تربط بينكما .. أم أنكِ لا زلتِ تحبينه ؟

كان يتساءل ما الذي دفعه لهذا السؤال الآن : أهو الفضول أم أنها الغيرة ؟ .. و لم يكن يرغب في الحصول على إجابة .. نظرت أمينة إلى الهاتف في استغراب قبل أن تهمس :
- أهذا هاتف أخيك ؟ .. أقصد .. ألا زلت تحتفظ به ؟

وضعه فهمي على الطاولة أمامها و هو يهتف :
- أبي كان يحتفظ به .. أظن الآن أنه من حقكِ أن تحتفظي أنتِ به فالذكريات التي به تخصك قبل أي شخص و قد ترغبين في استعادتها .. أقصد .. هل لا زالت تلك الذكريات حية في ذهنك ؟ .. لأنه لو ظل الحب حياً فإن الذكرى قد لا تموت .

ترددت أمينة للحظة قبل أن تدفع الهاتف بيدها نحوه برفق و هي تهمس :
- الذكرى لا تعيش بعد أن يموت أصحابها .. أخوك مات و كذلك الفتاة التي أحبته في يوم من الأيام و ضحت بكل شيء لأجله حتى سمعتها و أهلها .. هذه ليست أنا .. أقصد

.. تبدو كل هذه الذكريات الآن و كأنها كانت لفتاة أخرى .. فتاة حكتها لي بكل تفاصيلها لكن لا هي ذكرياتي و لا لديّ مشاعر نحوها .. أنا .. أنا أفضل أن تحتفظ بهذا الهاتف معك من أجل الأولاد .. فقد يكونون هم الأحق بأن يتشاركوا الذكرى مع من تشاركا في إنجابهما بالفعل .

# الفصل الثانـى عشر

جلس فهمي مستلقياً في فراشه و هو شارد الذهن .. كان يفكر في الفتاة التي دخلت إلى حياته رغماً عنها و لم تتسلل إلى قلبه بإرادتها .. ثلاثة أيام فحسب قضتهم أمينة داخل القصر لكنه يشعر بأنها قد قلبت كيانه رأساً على عقب و لا يدري كيف حدث هذا و لا لماذا حدث .. كل ما يعرفه هو أنها تسيطر على تفكيره طوال الوقت و ينتابه نحوها شعور يتملكه رغم أنه لم يختبره طوال حياته .

طرقت زهيرة باب غرفة فهمي قبل أن تدخل إليها و هي تتلمس الطريق ؛ نهض فهمي بسرعة و أمسك بيدها قبل أن يدفعها برفق للجلوس على طرف فراشه و هو يهتف :

- لما لا زلتِ مستيقظة حتى الآن يا أمي ؟

مدت الأم يدها لتلمس خده في حنان و هي تهتف :

- و كيف أنام و قلبي ينبئني بأنك هاجع في فراشك و لا تنام ؟ .. كنت أظن عندما أخذت أولاد فريد في حضني أن قلبي سيهدأ و يستكين لكنه لم يفعل .. قلبي لا يستطيع أن يرتاح و هو يشعر بحيرتك و وحدتك يا فهمي ؛ لماذا تفعل هذا بنفسك يا بني ؟

هتف فهمي في حيرة :

- لا أفهم يا أمي .. هل فعلت ما يغضبك مني ؟

همست الأم في حنان :

- أنا لست غاضبة لكنني قلقة .. انظر إلى حالك .. لديك زوجتان و مع هذا تنام مع وحدتك بين أربعة جدران .. لما ؟ .. صفي مشاكلك مع نيفين أو .. سوي أمورك مع أمينة .. صحيح أن والدك لا تعجبه هذه الزيجة و يرغب في إنهاؤها بسرعة لكن هذا لا يمنع من أن أمينة فتاة لطيفة و قد تكون زوجة جيدة لك .. أنا لا أستطيع أن أراها لكن الخادمة وصفتها لي .. تقول أنها فاتنة كما أنها صغيرة في السن ...

قاطعها فهمي هاتفاً في ضيق :

- و عشيقة أخي .. دعينا لا ننسَ هذا يا أمي .

همست الأم في أسى :

- أصبح كل هذا من الماضي الآن .. حاول أن تنسَ و ....

قاطعها فهمي هاتفاً في ضيق :

- و هي ؟! .. هل تظنين أنها قد نست أو تستطيع أن تنسَ ؟ .. أمينة وافقت على التوقيع على عقد الزواج بشرط أن يظل هذا العقد مجرد حبر على ورق .. كانت واضحة في

شرطها و لم تشرح أسبابه و في الحقيقة هي لم تكن في حاجة إلى أي شرح .. تقول أنها قد نست ذكريات حبهما لكنني واثق من أنها لم تنسَ الألم و الخسائر التي تكبدتها في سبيل هذا الحب .. قاست كثيراً بعد وفاة فريد و أبي كان ركناً أساسياً في محنتها .. هي لم ترَ خيراً قط من عائلة الجبلاوي طوال خمسة أعوام كاملة و لا أظنها ستنسى مرارة التجربة في ثلاثة أيام .

تنهدت زهيرة قبل أن تهمس :

- و نيفين ؟ .. ألا تفكر في ترميم علاقتكما ؟

ربت فهمي على كف أمه و هتف :

- صدقيني يا أمي .. ما بيني و بين نيفين لم يعد يصلح للترميم بل للهدم ؛ فأنا و هي لن نستطيع الاستمرار في علاقتنا الفاشلة طويلاً .. أعرف جيداً أن الطلاق هو الصواب الوحيد لكنني أنتظر الوقت المناسب .. هي لا زالت تكابر و لا ترغب في الاعتراف بحقيقة فشل زواجنا و لكن بعد الظروف الجديدة ستراجع نفسها و تتخذ القرار السليم .. على الأقل هي لن تحب أن تضحي بأمومتها من أجل شراكة اقتصادية مهما كانت أرباحها .. أو على الأقل هذا ما آمله .

ألحت عليه أمه في أن يذهب إلى نيفين في بيت أبيها و يعيدها إلى القصر لكن فهمي رفض هذه المرة بشدة ؛ كان يرغب في أن يترك لها وقتاً كافياً لتعيد تقييم علاقتهما على أمل أن تستسلم للأمر الواقع و تتفق معه على الطلاق لكنه لم يكن يعلم أن الطلاق هو آخر شيء من الممكن أن تفكر فيه نيفين .

كانت نيفين تجلس مستلقية في فراش عاطف و هي عارية عندما أشعل لها سيجارة من الحشيش و ناولها لها و هو يهتف :

- أنا لا أفهمك .. تكادين أن تنفجري غيظاً منذ تزوج تلك الفتاة مع أنكِ لا تحبينه .. صارحيني بالحقيقة يا نوفا أرجوكِ .. ما الذي يغضبك من زواجه ما دمتِ لا تغارين عليه ؟

هتفت نيفين في حدة :

- لأنني أنا نيفين السيوطي و لا أقبل بأن يساويني بتلك الحقيرة .. مجرد بنت من الشارع و مع هذا زرعها في القصر و سيجعل لها الكلمة العليا به .. عندما أرى أولادها أكاد أن أفقد عقلي يا عاطف .. أود لو أحرق القصر على من فيه .

نفث عاطف دخان سيجارته و هو يفكر في عمق قبل أن يهتف :

- اسمعي يا نيفين .. لما لا تنفضين يدك من هذا كله ؟ .. اتركيه .. ألم تقولي أنه قد عرض عليكِ الطلاق أكثر من مرة و سيسوي الشراكة التي بينكما ؟ .. اتفقي معه على تسوية مرضية و انهي الأمر و ...

قاطعته نيفين هاتفة في ثورة :

- و أخسر كل شيء ؛ أليس كذلك ؟ .. بئس النصيحة .. الآن فقط فهمت لما لا يأتمنك عمي على أعماله .. لا تحتاج لأكثر من أسبوع واحد قبل أن تخربها و تجلس على تلها .

قهقه عاطف ضاحكاً و هو يهتف في استخفاف :

- هذا ما يقوله أبي بالحرف الواحد فعلاً ؛ هل سمعتيه أم أنكِ تتفقين معه في الرأي ؟ .. عموماً أنا لا أحب أن أتعب رأسي في التفكير في المال و المشروعات و الحسابات التي لا تنتهي .. يكفيني أن أنفق بسخاء على النساء و الشراب و المتعة التي لا نهاية لها .. كالأوقات اللذيذة التي نقضيها معاً .. قولي بصراحة .. هي أم كل الملايين التي تجنيها عن طريق زوجك الأحمق ؟

غادرت نيفين الفراش و هي تهتف :

- أفضل أن أجمع بينهما أم أنك لا تلاحظ هذا .. اسمع يا عاطف .. فهمي رجل أعمال موهوب بالفطرة ؛ يمكنك أن تقول أنه ساحر .. يمكنه أن يمسك بالتراب فيتحول على يديه إلى بحرٍ من الذهب .. طالما أموالي في أمواله سيظل هو يتحمل التعب و المسئولية و المخاطرة و أنا سأظفر بمكاسب خيالية بدون تعب و لا مخاطرة .. بحسبة بسيطة .. فهمي هو الجواد الذي سأحب أن أمتطيه طوال حياتي و لن أحب أن أخسره أو أن يشاركني أحد به .. خاصةً فتاة الإعلانات التي ابتلانا بها هي و أولادها ؛ و من يدري ؟ .. قد تستطيع الاستيلاء عليه و إذا أصبح له منها ابن سيتدمر كل ما بنيته في حياتي ؛ لأن فهمي الجبلاوي لن يبتلع خداعي له بسهولة و إذا حملت تلك الحقيرة ستنكشف لعبتنا كلها أم أنك لا تلاحظ هذا أيضاً .

ضرب عاطف جبهته بكف يده و هو يهتف :

- كنت قد نسيت فعلاً أنكِ دفعتِ ثروة صغيرة في معمل التحاليل ليتلاعب بالنتائج .. لديكِ حق .. فهمي الجبلاوي سينجب من فتاة الإعلانات و تنكشف خدعتك .

صمت لحظة قبل أن يردف و على وجهه ابتسامة خبيثة :

- هذا إذا لم نجد ما نزيحها به عن طريقه .

تألقت ابتسامة على وجه نيفين و هي تهتف في حسم :

- أصبت هذه المرة .. هذا إذا لم نجد ما نزيحها به عن طريقه .. قل لي يا عاطف .. ما الطريقة التي تفضلها لنزيح بها تلك الحقيرة ؟

مد عاطف يده و جذبها إلى صدره و أحاطها بذراعيه و هو يهتف :

- سنجد واحدة لكنكِ يجب أن تكوني قريبة جداً منه حتى نستطيع تنفيذها بسهولة .. و أظن أنه يجب أن تعودي إلى القصر هذه المرة حتى لو لم يحاول استرضاءك .. ستكون كل الأمور تحت عيونك و في قبضتك و سنستطيع أن نلعب لعبتنا بسهولة و بدون أن ينتبه لها أحد .

# ***الفصل الثالث عشر***

في الصباح الباكر غادر فهمي غرفته و هو ينوي الذهاب إلى مكتبه ؛ كان لديه اجتماع مهم في التاسعة صباحاً و كان يحب الذهاب قبله بساعة على الأقل لينهي توقيع المكاتبات المهمة قبل أن يبدئه ؛ فوجئ عندما وجد أمينة تنتظره في الحديقة و قد جهزت له الفطور .. هتف مبتسماً :

- كل هذا لأجلي .. لم أتعود على هذا التدليل من قبل .

احمر وجه أمينة و هي تهتف في ارتباك :

- هذا ليس تدليلاً بل هو مجرد تحية صغيرة .. شكر على كل ما فعلته لأجلي .

تأمل فهمي احمرار وجهها في حيرة و هو يهتف :

- لم أفعل بعد ما يستحق الشكر يا أمينة .

هتفت أمينة في امتنان :

- بل فعلت .. و لا أتكلم عن أنك وقفت في وجه والدك و فرضت وجودي هنا مع رامي و سارة عليه لأنني أعلم أنك فعلت هذا رحمةً بهما لا شفقةً عليّ .. لكن ما فعلته بالأمس مع أمي و أخواتي جميل لن أنساه لك .

أدرك عما تتحدث .. كان قد أمر مدير أعماله بأن ينقل والدة أمينة إلى المستشفى ليتم فحصها بدقة و تتلقى العلاج الذي يتناسب مع مرضها لا مع ما كانت أمينة تستطيع توفيره لها ؛ كما أمر المدير المالي بفتح حساب مصرفي باسم أمينة و أودع به مبلغاً لم تكن أمينة لتجنيه من عملها في عشر سنين ؛ كل هذا إلى جانب الشقة التي منحها عقدها و مفتاحها لتنقل أسرتها إليها .. ابتسم فهمي و هتف :

- هذا ليس جميلاً بل رداً للجميل .. حافظتِ على لحم أخي يا أمينة و وفرتِ للتوأم حياة سعيدة لسنواتٍ طويلة .. كان من الممكن أن تخضعي لتهديد أبي و تتخلصي من الجنين .. و كان من الممكن أن ترفضي تحمل مسئوليتهما و تلقيهما في دار للأيتام أو تحاربين أبي في المحاكم و تفضحينه على صفحات الصحف .. صدقيني يا أمينة .. رغم كل تحفظاتي على الطريقة التي تزوجتِ بها فريد لا أنكر أنني أحترم كثيراً تحملك لنتائج اختياراتك الخاطئة و وقوفك في وجه الجميع من أجل رامي و سارة .. أي شيء أفعله معكِ أو لأجلك إن لم يكن من حقكِ عليّ فاعتبريه تحية تقدير و احترام .. اتفقنا .

ثم جلس فهمي و أشار إلى الطعام و هو يردف :

- ثم إنني سأعتاد على كل هذا و سأنتظر أن تشاركني فطوري كل يوم أجمل فتاة رأيتها في حياتي لأنني أتفاءل

كثيراً بابتسامتها الصافية و لم أعد أستطيع الاستغناء عنها .

مجرد إطراء .. هو لم يقصد أن يغازلك .. قد يراكِ جميلة لكنكِ لا يمكن أن تكوني أجمل فتاة رآها في حياته أو أن يكون قد تعلق بكِ لهذا الحد .. هكذا قالت أمينة لنفسها لتمنع قلبها عن الخفقان كالطير الذبيح بين ضلوعها و تكبح الاحمرار الذي غزا وجنتيها و جعلها تبدو كفتاة صغيرة حالمة .

جلست تتناول الفطور مع فهمي و هي ترتجف كلما نظر بطرف عينه إليها و رأت الابتسامة المشرقة في عيونه و التي بدت و كأنها تهدهدها ..

انتابها شعورٌ رائع لا تدري كيف تكبحه قبل أن يتبدد فجأة و هي تلمح سيارة نيفين التي دخلت إلى حديقة القصر قبل أن تقترب نيفين منهما و هي تهتف :

- فطور في الحديقة و بجوار بركة السباحة .. رائع .. من الواضح أنك تستمتع كثيراً في غيابي يا فهمي بك و لم تفتقدني .

التفت فهمي نحوها و ضاقت عيونه ؛ لا يعرف ما الذي أعادها إلى القصر و في هذه الساعة المبكرة و بدون أن

يذهب إليها كالعادة .. يعرف أنها تنام تقريباً في هذا الموعد لكن بات من الواضح أنها قد أرجأت نومها لساعتين حتى تعود إلى بيته و تكبس على أنفاسه .. نهض فهمي و هو يهتف في ضيق :

- تعرفين أنني لا أفتقدك قط يا نيفين هانم و لا يحتاج هذا إلى الماء و الخضرة و الوجه الحسن .. خير - إن شاء الله - .. هل فكرتِ و قررتِ أخيراً أن الطلاق هو الرد المناسب على زواجي الثاني الذي لا يعجبك أم أن الثروة لها حسابات أخرى صوتها أعلى من صوت كبرياءك ؟

كبتت نيفين غضبها و اغتصبت ابتسامة سخيفة و هي تهتف :

- بل اقتنعت برأي والدك و أبي .. زواجك الثاني ورطة وضعك بها فريد و لا يجب أن أؤاخذك عليها .. سأسامحك هذه المرة خاصةً و أنا واثقة من أنك لن تقبل بأن تكون مجرد صورة ممسوخة عن ميت في حضن زوجته كما أنت مجرد اسم في شهادات ميلاد أولاده .. أعرف يا باشمهندس أن كرامتك لن تسمح لك بأن تكون مجرد بديل أو تعويض عن الحب الذي لا يهزمه الموت .

احتقن وجه فهمي بشدة ؛ بينما هتفت أمينة في ارتباك :

- أنتِ تهذين بما لا تعرفين و ليس من حقك أن ....

قاطعتها نيفين هاتفة في حدة :

- أنا لا أوجه كلامي إليكِ .. أتحدث مع زوجي و ليس مسموحاً لكِ بالتدخل بيننا .. أنتِ هنا مجرد مربية للأولاد و ليس لكِ الحق في أن تقتحمي علينا حديثنا أو حياتنا .. الزمي حدودك و لا تناطحي أسيادك .

أمسك فهمي بذراع نيفين في قسوة و هو يهتف :

- قلت لكِ من قبل عندما تتحدثين مع زوجتي يجب أن تتخيري ألفاظك .. أنا لن أسمح لكِ بإهانتها و إذا لم تكوني مستعدة لأن تتقبلي أن لها في هذا القصر مثل حقوقك و أكثر فيمكنك أن تعودي من حيث أتيتِ و أن تنسي هذا القصر و من فيه .. ما بيننا يا نيفين هانم مجرد عمل .. عمل فحسب .. و أستطيع هدم المعبد على من فيه إذا تجرأتِ و تجاوزتِ حدودك معي أو معها مرة أخرى .

جذبت نيفين ذراعها من كف فهمي و هي تهتف :

- سنرى كيف يكون رأي أبيك في هذا أيضاً .

جرت نيفين نحو القصر ففكر فهمي في أنها قد حددت هدفها بدقة و ليست مستعدة لأن تخسر شراكتهما حتى لو ابتلعت كبرياءها ؛ ثم التفت نحو أمينة التي بدت مصدومة من القسوة التي يعامل نيفين بها .. رجل حنون مثل فهمي كيف يعامل زوجته بهذه الطريقة المهينة ؟ ..

هكذا كانت تتساءل رغم أن هذا لم يكن هو جوهر الموضوع .. كان كل ما يهمها هو ألا يصدق فهمي هذيان نيفين .. هي لا تحب فريد و لا ترى في فهمي مجرد صورة عنه و بالتأكيد لا يمكن أن تتخيل أن رجلاً مثل فهمي من الممكن أن يكون بديلاً عن أي شخص مهما كان قريباً منه و حتى لو كان صورة طبق الأصل عنه .

- أنا آسفة .

هكذا همست أمينة فالتفت نحوها فهمي و هتف :

- على ماذا يا أمينة ؟ .. أنا لم أحاول أن أملأ الفراغ الذي تركه أخي في حياتك و لا أنتِ فكرتِ في أنني قد أستطيع أن أفعل .. و أكبر دليل على هذا هو أننا قد اتفقنا بكل صراحة على أنكِ أم رامي و سارة و أنا أبوهم البديل .. أنتِ لم تريدي أن أكون زوجك الحالي و لا بديلاً عن زوجك السابق و أنا .. أنا سأحب أن أكون مجرد صديق أو أخ يرعاكِ و تعتمدين عليه .. ما لم تتغير مشاعرنا ذات يوم و ننقض الإتفاق الذي أبرمناه معاً قبل أن نوقع على العقد الذي قد لا يدخل أبداً إلى حيز التنفيذ .

همست أمينة في توتر :

- أنا آسفة على أنني وترت علاقتك مع زوجتك .. أستطيع أن أفهم أن الصدع في علاقتكما قديم و من قبل أن تتورط

معي بكثير لكن من الواضح أن وجودي في الصورة سيزيد الطين بلة و قد ينسف العلاقة من الأساس وأنا .. أنا لم أكن أحب أن أكون سبباً في زعزعة حياتك .. ليس من العدل أن تبني حياتي أنا و التوأم على حساب حياتك و ربما .. لا أدري ماذا أقول و لكن .. لا مانع لديّ من أن أتحدث معها و أشرح لها الوضع .. هي فظة و متعالية لكنها في النهاية مجرد زوجة مجروحة و قد أستطيع أن أوضح لها الصورة و ....

قاطعها فهمي هاتفاً :

- هل نتناول عشاؤنا الليلة معاً خارج القصر ؟

بهت وجه أمينة و هتفت في إرتباك :

- وحدنا ؟ .. لكن .. نيفين قد ....

ابتسم فهمي و هتف :

- نيفين قد تفهم أنها تراهن على الجواد الخطأ و ترحمني من شراكتها لأنها تقف عليّ بخسارة فادحة .. لا أريد منكِ إنقاذ زواجي يا أمينة لكنكِ ستصنعين بي معروفاً لو تركتِ تلك المغفلة تتخيل أن بيننا علاقة طبيعية كزوجين .. على الأقل قد تقتنع بأن الطلاق هو الحل السحري لمشاكلنا و تشتري كرامتها .. ما رأيك ؟ .. سأكون هنا في الثامنة مساءاً و سأكون سعيداً إذا وجدتك في انتظاري .

# الفصل الرابع عشر

فكرت أمينة كثيراً في أن موقف فهمي غريب كما فكرت في أن من الحماقة أن تسايره عليه .. هي في هذا القصر من أجل رامي و سارة و يجب أن تبتعد عن أية مشاكل أو تعقيدات من الممكن أن تفسد عليها وجودها به لأنها لن تتحمل أن تخسر رامي و سارة .

فكرت كثيراً في أنها يجب أن تعتذر إلى فهمي عن أنها لن تستطيع أداء الدور الذي طلبه منها لكنها وجدت نفسها قبل الموعد بساعتين تفتح صوان ملابسها لتتخير ما سترتديه .. لا يمكن أن ترتدي هذا الثوب الأحمر فقد يجعله اللون يسئ تفسير دوافعها .. و هذا الثوب الأسود عاري الكتفين و بالتأكيد هي لن ترغب أن تبدو مكشوفة أمامه .. و هذا الثوب الأخضر قديم .. و ذلك رخيص .. و هذا يجعلها تبدو سمينة قليلاً و ذاك يجعلها تبدو قصيرة .. ظلت متحيرة في الاختيار حتى طرق فهمي باب غرفتها في الثامنة تماماً و هي لا تزال تقف أمام الصوان الذي بات خالياً بينما كومة من ثيابها ملقاة فوق الفراش .

كانت مستغرقة في التفكير حتى أنها لم تنتبه إلى الطرقات و لا إلى فهمي الذي أطل برأسه من خلف الباب و تأمل غرفتها و الثياب المبعثرة بها و هو يبتسم .. اقترب منها و وقف خلفها و همس :

- أفضل الثوب الأبيض .

همست في شرود :
- ليس لديّ ثوبٌ أبيض .

انتفضت عندما شهر فهمي الثوب أمامها و التفتت إليه و هي تهتف في إرتباك شديد :
- هل أنت هنا فعلاً أم أنني أتخيل ؟ .. أقصد .. كيف دخلت إلى غرفتي ؟ .. أنا ..

هتف فهمي مبتسماً :
- طرقت الباب مرتين .. ثم إن هذه رسمياً غرفة زوجتي و من حقي أن أدخلها في أي وقت و بدون استئذان .. ما بكِ يا أمينة ؟ .. ما الذي يجعلك مشوشة لهذا الحد ؟

همست بدون تفكير :
- أنت .

ثم أردفت في توتر :
- أنت تورطني في مشاكلك مع نيفين و هذا يزعجني .. أعرف أنك دخلت إلى الغرفة لتوهمها بأشياء ليست حقيقية بيننا .. و لن تكون حقيقية .. أنا .. أنا هنا من أجل رامي

و سارة .. لست مستعدة لأن تكون لديّ مشاعر نحو أي شخص خاصةً أنت .. أنا ...

هتف فهمي في هدوء :

- هذه مجرد دعوة للعشاء يا أمينة .. دعوة بريئة جداً و ليست مغرضة .. أنا لا أحاول إغراءك و جرك إلى علاقة لستِ مستعدة لها .. فلا تتصرفي كما لو كنتِ فتاة صغيرة مرتبكة لا تضمن السيطرة على عواطفها لأنكِ لستِ كذلك .. أنتِ امرأة ذات تجربة و حنكة و يمكنك أن تتعاملي مع الأمور بروية و مرونة .. وعموماً اطمئني .. أنا لن ألتهمك بعد العشاء فأنا عادةً أفضل القهوة عن التحلية .

اشتعلت شرارة صغيرة في عيون أمينة و هي تهتف :

- أنت تسخر مني .. أنا لن ..

بترت عبارتها عندما جذبها فهمي و قبلها بحرارة ؛ خمدت ثورتها فجأة و سكنت بين ذراعيه عندما توقف فهمي عن تقبيلها و همس :

- آسف .. لم أستطع المقاومة .

تنهدت في حرارة قبل أن تبتعد عنه .. انحنت نحو الثوب الذي تركه فهمي يسقط على الأرض و التقطته .. كانت

تريد أن تتحدث عن أي شيء سوى القبلة التي زلزلت كل كيانها فهمست :

- قلت أن هذا لي و لكن .. لا أظن أنه يناسبني .

وضع فهمي يديه على خاصرته .. ربما حتى لا يجذبانها إلى صدره مرة أخرى و هتف :

- ء لأن ذوقي لا يعجبك يا أمينة ؟ .

هتفت في توتر :

- بل لأنه يبدو كثوب زفاف .. اللون الأبيض و القماش الرقيق و كل هذا التطريز .. هل اخترته بنفسك ؟

شعرت فجأة بالسعادة و هي تفكر في أن فهمي قد ترك عمله و مسئولياته و ذهب ليتسوق لها بنفسه ثوباً أبيض اللون .. اهتمامه هذا بها كان يجب أن يخيفها لكنه لم يفعل بل على العكس .. هتف فهمي في لامبالاة :

- لأنني قلت أنه على ذوقي ؟ .. في الواقع .. سكرتيرتي لها نفس مقاسك تقريباً و هي اختارته بنفسها .. بناءاً على إرشاداتي .

انتابها الغضب فجأة ؛ كادت أن تلقي الثوب في وجهه و تطلب منه أن يذهب به إلى سكرتيرته لولا أنه ابتسم فجأة و أحاطها بذراعيه و هو يهتف :

- كنت أمزح .. اخترت الثوب بنفسي و أتمنى ألا تخيبي أملي لأنني أتوق لأن أراه عليكِ يا أمينة .. ممكن .. هل هذا ممكن يا أمينة ؟

الدفء الذي يسري في جسدها كان يشتت كل أفكارها ؛ كانت تحتاج لكل طاقتها حتى تكبح نفسها عن أن ترتمي في صدره و هي تهتف :

- لن يكون ممكناً طالما ظللت هنا .. امنحني ساعة من الخصوصية و سأكون مستعدة لمفاجأتك .

انسحب فهمي من الغرفة فنظرت إلى الثوب الرائع قبل أن تتنهد في حرارة و تضعه على الفراش في حرص بينما ذهب فهمي إلى غرفته ؛ اغتسل بسرعة و ارتدى ثيابه و هو يدندن لحناً مفعماً بالبهجة ؛ كان يقف أمام المرآة و هو يصفف شعره عندما طرقت أمينة باب الغرفة و دخلت إليها .

تأملها فهمي قبل أن يصفر في إعجاب و اقترب منها هاتفاً :

- تخيلته كثيراً لكن ليس بهذه الروعة .. تبدين فاتنة يا أمينة .

مساحيق التجميل التي على وجهها لم تخفي توهجه و لا إشراقة عينيها و هي ترى نظرة إعجاب صادقة في عينيه ؛ ارتجفت عندما اقترب فهمي منها و مد يده نحوها .. تخيلت أنه سيضمها إلى صدره لكنه لم يفعل بل نزع القرط من أذنيها و هو يهتف :

- زينتك خلابة لكن زوجة فهمي الجبلاوي يجب أن تتزين بمجوهرات حقيقية .

أخرج من جيب سترته علبة قطيفة كبيرة و فتحها أمامها فشهقت أمينة و هتفت :

- هل هذا من أجلي ؟ .. و لكن .. هذا ثمين جداً .. لا أستطيع أن أقبل منك هدية كهذه .. أقصد ..

ابتسم فهمي و هتف :

- بل افعلي لأجلي أرجوكِ .. سيراكِ الناس معي و سيعرفون أنكِ زوجتي .. أتريدين أن يقول الناس عني أنني بخيل و لا أعرف كيف أدلل امرأتي ؟ .. ستفسدين سمعتي يا عزيزتي و هذا لن يرضيكِ ؛ أليس كذلك ؟

اقترب منها كثيراً ليضع القرط في أذنيها و القلادة حول عنقها ؛ كانت تشعر بأنفاسه الدافئة تدغدغ كل ذرة في جسدها قبل أن يضع الإطار الماسي في بنسرها و السوار

في معصمها ثم قبل أصابعها في رقة جعلتها ترتجف و هي تهمس :

- أين سنتناول العشاء ؟ .. دعنا نذهب بسرعة فأنا أتضور جوعاً بالفعل .

تأمل فهمي شفاهها التي ترتجف و همس :

- و أنا أيضاً أتضور جوعاً يا أمينة لكن جوعي يختلف .. دعينا نذهب فعلى الأقل سيستطيع أحدنا أن يسد جوعه .

# ***الفصل الخامس عشر***

لمعت الدموع في عيون أمينة و هي تتأمل ما حولها .. كانت تتوقع أن يأخذها فهمي إلى مطعم فخم أو أحد مطاعم الفنادق الفاخرة على ضفاف النيل لكنها لم تتخيل أن يأخذها إلى يخته الخاص ..

باقات الزهور التي في كل مكان ؛ و مائدة الطعام الفاخرة و النادل الذي يقف بجوارها مستعداً لتأدية أية مهمة يكلفانه بها ؛ و الموسيقى الناعمة التي تنبعث من الجوقة الصغيرة التي وقفت على بعد خطوات من المائدة لم يكونوا هم سبب شعورها بالسعادة .. لكنها فكرة أن فهمي اهتم بأن يؤثر فيها و يظهر اهتمامه بها لهذا الحد .. كان هذا في حد ذاته يجعلها تريد أن تبكي بشدة لكنها لم ترد أن تبدو سخيفة .

داعب فهمي وجهها بأنامله و هو يهمس :

- هذه أول مرة نسهر فيها وحدنا يا أمينة و أردت أن أجعلها ذكرى مميزة .. تستحقين أكثر من هذا بكثير و أتمنى أن يكون اختياري قد أعجبك .

تناول باقة من الزهور من فوق المائدة و قدمها لها فانهمرت دموعها ؛ تنهد فهمي و همس في أسى :

- آسف يا أمينة .. من الواضح أنني قد أسأت الاختيار لكنني لم أقصد أن أثير ذكريات قديمة أو حزينة لا ترغبين في استرجاعها .

حملت أمينة باقة الأزهار عنه و هي تهتف في صدق :

- بل أنا الآسفة .. في حياتي لم يعاملني أحد بهذه الرقة و يبدو أن هذه المعاملة لا تناسبني .. أريد أن أشكرك بشدة لكنني بدلاً من أن أفعل أنخرط في البكاء .. أبدو سخيفة كثيراً ؛ أليس كذلك ؟

مال فهمي نحوها و مسح الدموع عن أهدابها و هو يهمس في حرارة :

- بل تبدين رائعة .

تحرك اليخت فارتمت أمينة بين ذراعيه و هي مذعورة ؛ ضمها إلى صدره و هو يبتسم في حنان بينما هتفت في توتر :

- لماذا يتحرك ؟ .. قل لهم أن يوقفوه أرجوك فأنا لا أحب الإبحار .. أخاف المراكب بكل أنواعها حتى أنني لا أجيد السباحة .

أشار فهمي إلى النادل لأن يذهب ليأمر بإيقاف اليخت قبل أن يهتف :

- ظننت أنكِ ستحبين الإبحار به .. مجرد جولة صغيرة حتى ننتهِ من العشاء و سنعود للمرفأ مرة أخرى .

توقف اليخت فتنهدت في ارتياح قبل أن تبتعد عن ذراعيه و هي تهمس :

- هذه أول مرة في حياتي أركب يختاً كهذا و أفضل أن يظل مستقراً في مكانه ؛ أرجوك .. أبدو مفسدة للمتعة لكنني مضطرة .. أخذني أبي إلى الاسكندرية مرة واحدة و أنا صغيرة و كدت أن أغرق في البحر و منذ هذا الوقت و أنا لا أحب المياه الجارية .. السباحة في بركة القصر كانت مجرد محاولة صغيرة للتغلب على عقدتي لكن من الواضح أنها لم تفلح .

قطب فهمي جبينه ؛ بدا له كلامها غريباً فقد شاهد بنفسه فيديو لها مع فريد على ظهر هذا اليخت و لم يكن هذا في النيل .. كانا في الغردقة و كانت ترتدي ثوب السباحة و تقفز عن اليخت لتشارك فريد السباحة في مياه عميقة حتى أن لهما فيديو معاً و هما يمارسان الغطس .

صمت فهمي طويلاً فشعرت أمينة بالقلق .. فكرت في أنه قد ندم على أنه قد بالغ في الاهتمام بها و حاول أن يمنحها ليلة مميزة لكنها أفسدتها عليه بمخاوفها الغبية .. همست :

- إذا كنت قد أزعجتك فأنا أعتذر .. و لا مانع عندي إذا ألغيت العشاء و عدنا إلى القصر .. أعني أنني لن ألومك إذا ألغيت الدعوة فأنا ...

قاطعها فهمي هاتفاً ببطء :

- أتفهم مخاوفك يا أمينة .. أنا فقط أستغرب التوافق الغريب بينك و بين فريد – رحمه الله - .. هو أيضاً تعرض لحادث غرق و هو صغير أورثه خوفاً مرضياً من السباحة .. حتى أنه كان يرفض الصعود إلى ظهر هذا اليخت .

توترت أمينة .. كان من الواضح أن الحديث عن فريد الآن قد أزعجها أو أنها لم تكن تجد ما تقوله لذا همست في اقتضاب :

- مجرد مصادفة .. أنا حتى لم أكن أعلم ما إذا كان فريد يجيد السباحة أم لا .

حدق فهمي في وجهها للحظات باستغراب قبل أن يشير إلى الجوقة بالتوقف عن العزف و مغادرة المكان و النادل معهم ثم التفت نحوها هاتفاً في حدة :

- صدقتِ .. أنتِ لا تعرفين ما إذا كان فريد يجيد السباحة أم لا بل أنتِ على الأرجح لا تعرفين فريد من الأساس .. أي شخص عاشر فريد و لو ليومٍ واحد كان سيعرف أنه قد حصل على بطولة الجمهورية في السباحة مرتين لأن هذا هو الموضوع المفضل الذي لم يكن فريد يتوقف عن الحديث عنه حتى مع من يقابله صدفة في الطريق .

شحب وجه أمينة بشدة ؛ كانت تعرف أن فهمي سيكتشف الحقيقة ذات يوم لكنها لم تتخيل أن يكتشفها بهذه السرعة .. كانت ترى في عيونه نظرة غضب و شك حتى شعرت بالخوف منه لكنها لم ترغب في الهرب من أمامه .. في كل الأحوال كان من حقه أن يعلم الحقيقة كاملة لكنها لم تجد الجرأة على أن تشرحها له .. كانت ستخاطر بأن تخسر رامي و سارة و هي لم تكن مستعدة لهذه المخاطرة .

انهمرت الدموع على وجهها و هي تفكر في أن فهمي سيحرمها من الأولاد ؛ فعندما يعرف الحقيقة سيكتشف أنه ليس مضطراً لأن يورط نفسه في زيجة سخيفة من أجل أن يظل أولاد أخيه في حضن أمهما لأن القدر حرمهما من أمهما و أبيهما في نفس الوقت .

شعر فهمي بدموعها تنغرس كالسكين في صدره ؛ لكنه ظل صامتاً و هو يراقبها بعيون تجلدها بأسئلة كثيرة لم يكن أمامها سوى أن تجيب عليها لذا همست :

- قلت الحقيقة عندما أخبرتك بأن الماضي هو ذكريات فتاة أخرى تشبهني .. أمنية .. أمنية ليس مجرد اسم شهرة كما تخيلت لكنه اسم الفتاة الحقيقية التي أحبها أخيك و ماتت لأنها أصرت على أن يخرج جنينها إلى الحياة حتى لو كان هذا يوصمها بالعار و يجعلها تخسر الجميع بما فيهم أهلها .. و هذه الفتاة كانت أختي .

قطب فهمي جبينه و هتف في استغراب :

- تقصدين أنها توأمك .. تماماً كما أنا و فريد .

هزت أمينة رأسها مؤيدةً لكلامه قبل أن تهمس :

- لا أستطيع أن أشرح لك كم كانت قريبة مني .. حتى بعد أن دخلت عالم الإعلانات و بدأت تبتعد عن دراستها و يصبح لها عالم آخر غير عالمي .. الشيء الوحيد الذي أخفته عني هو علاقتها بأخيك .. لو أنها صارحتني قبل أن تتورط معه لقلت لها أن الرجل الذي لا يستطيع أن يجهر بحبه لها لا يستحقها و أولى بها أن تبتعد عنه و تتجنبه .. لكنها كانت مفتونة به و لم أعلم بما بينهما إلا عندما مات و كادت أن تموت معه .. الجميع علم بما بينهما .. أبي الذي لم يستطع أن يتحمل صدمة أن ابنته التي كان فخوراً

بأنها قد سارت على دربه و تبشر الأمور بأنها ستحقق النجاح الذي كان يحلم به لها حامل من سفاح و مات مخزياً .. و أمي التي صارت على الحالة التي رأيتها عليها و عجزت عن الكلام و الحركة .. كانت حياتنا كلها تنهار لأن أخاك غرر بطفلة لم تبلغ السادسة عشر من عمرها و سلبها شرفها بورقة مزقها أبوك و مزق معها سمعة و مستقبل أربع فتيات غيرها لم يكن لهن ذنب في أن لهن أختاً حمقاء .

جلست أمينة و التقطت كوباً من الماء و شربت كل ما به قبل أن تمسح بعض الدموع عن وجهها و هي تردف :

- غضبت أمي بشدة عندما أصريت على عودة أمنية إلى البيت .. حاولت أن أشرح لها أن أمنية لم يعد لها غيرنا بعد أن مات فريد و هددها أبوك بأنه سيقتلها إذا حاولت أن تنسب الجنين إلى أبيه الحقيقي ؛ حتى أنه أرسل خلفها من صدمها بسيارة ليتخلص منها .. عناية الله أنقذت حياتها و حياة الجنين الذي في أحشاءها لكنها ظلت طريحة الفراش حتى ولدته و ماتت .. أمنية ماتت و تركت رامي و سارة أمانة في رقبتي .. أنا لم أكذب عليك و لكنني أمهما .. هما لا يعرفان أماً غيري و أنا سأموت إذا انتزعتهما مني .. صدقني يا فهمي .. تستطيع أن تطلقني و تطردني و لن ألومك .. لكنني حتماً سأموت إذا انتزعت رامي و سارة مني .

# الفصل السادس عشر

أخفت أمينة وجهها بين كفيها و أجهشت بالبكاء ؛ كانت تشعر بأنها قد تصرفت بحماقة و خسرت أولادها كما خسرت آخر أمل لها في أن تظل قريبة من فهمي و لم تدري لما كانت فكرة أنها قد لا تراه مرة أخرى مؤلمة لهذا الحد .. كانت تشعر بأن نهراً من الدموع قد سال من قلبها و يستعد لأن يتدفق من عيونها لكنها توقفت عن البكاء فجأة عندما بدأت الموسيقى تصدح حولها من جديد .

توقفت أمينة عن البكاء و رفعت رأسها لتنظر حولها .. كانت الجوقة قد عادت لمكانها و بدأت العزف ؛ و النادل يصب كؤوس العصير أما فهمي فقد كان يبتسم و هو يبسط كفه لها .. ما إن لمست أناملها أصابعه حتى جذبها لتقف و أحاطها بذراعيه و هو يهمس :

- دعينا نرقص .

أخذها بين ذراعيه .. كانت تتحرك معه على أنغام الموسيقى في رشاقة و هي تهمس في حيرة :

- ألست غاضباً مني ؟

ابتسم فهمي و همس :

- و لما أغضب ؟ .. لديّ زوجة لم يسبقني إليها رجلٌ غيري و هذا لا يدعو للغضب .. لكنني فضوليّ و أود أن أفهم .. لما ادعيتِ أنكِ أمنية ؟ .. لا أقصد عندما تقابلنا و لكن أنتِ تستخدمين اسم أختك منذ سنين .. لما كنتِ تعملين باسمها ما دامت قد ماتت ؟

همست أمينة في أسى :

- انتحلت شخصيتها من قبل أن تموت .. كانت قد نجت بأعجوبة من حادث السيارة و منعها الأطباء عن الحركة ؛ و كان لديها عقدٌ بإعلان مهم .. في ذلك الوقت كان أبي قد مات و كنا بلا عائل و أنا و مريم لم نكن نعرف كيف سندبر أمور البيت و مصاريف دراسة التوأم سما و سلا و مصروفات علاج أمي و أمنية .. أمنية هي التي اقترحت أن أذهب إلى الأستوديو بدلاً عنها و أنفذ الإعلان .. بعدها طلب كثيرون أمنية في أكثر من إعلان و هكذا أصبحت أنا أمنية فتاة الإعلانات .. كنت خجولة في البداية لكنني أجيد الرقص و التمثيل و صوتي لا بأس به و توالت الفرص .. في الحقيقة كان هذا طوق نجاة بالنسبة لنا و بدونه لم نكن نستطيع أن ندبر أمورنا خاصةً .. خاصةً بعد أن تركت أمنية أولادها أمانة عندي و لم أعرف كيف أشرح للجيران أنني قد أصبحت أماً و لا

زوج لي و اضطررت إلى استئجار شقة قانون جديد في منطقة جديدة و انتقلنا إليها .

هتف فهمي مؤنباً :
- و إلى متى كنتِ ستخفين الحقيقة عني ؟

صمتت أمينة للحظة قبل أن تهتف في أسى :
- لا أدري .. ربما إلى الأبد .

توقف فهمي عن الرقص و أحاط وجهها بكفيه و هو يهتف :
- أفهم من هذا أنني كنت سأظل مطروداً من غرفة زوجتي إلى الأبد .. تبالغين في القسوة كثيراً يا حبيبتي .

هتفت أمينة في اضطراب :
- أنا لست حبيبك .. لا تقل شيئاً لا تعنيه لأنني لا أرغب في تصديق شيء لا وجود له .. أنا ...

بترت عبارتها عندما قبلها فهمي في حرارة ؛ لم يكن لديها مانع في أن يظل يقبلها إلى الأبد و لكنها أخفت وجهها في صدره و هي تهمس :
- ألا تستحي ؟ .. نحن لسنا وحدنا .

طرقع فهمي بأصابعه فانسحب النادل و الجوقة ؛ تركها فهمي للحظة ثم عاد و هو يهتف :

- صرفت الجميع بما في هذا سائق اليخت .. فما رأيك في جولة الآن ؟ .. أستطيع أن أقود اليخت بنفسي و نتجول في النيل أو أستطيع أن أتركه راسياً و أتجول معكِ داخله .. لديّ هنا غرفة نوم ستعجبك كثيراً ؛ فماذا تختارين ؟

احمر وجهها قبل أن تشير إلى المائدة و هي تهتف :

- الأكل يبدو شهياً .. دعنا نأكل ثم نرى ماذا بعد ؟

اندفع فهمي نحوها و حملها بين ذراعيه و هو يهتف ضاحكاً :

- اقتراح مرفوض .. جوعي أشد ضراوة من جوعك يا آنسة و أنت أشهى شيء في هذا العالم بالنسبة لي .. لي زوجة أستمتع كثيراً بوجودها في حياتي و لن أؤجل زفافنا و لا للحظة واحدة بعد الآن .

كانت ليلة رائعة حتى أن أمينة فكرت كثيراً في أنها لا يمكن أن تكون حقيقية ؛ كانت تشعر بأنها حلم لم يرد أن يتبدد حتى عندما تسللت أشعة الشمس إلى الغرفة و غشت عيونها ..

كانت تستكين بين ذراعي فهمي الذي أغمض عينيه و انتظمت أنفاسه و هي تفكر في أنه ربما يكون نائماً لكنها هي لم تستطع أن تنام ..

كانت تفكر في أن الحياة تلعب معها لعبة غريبة و لا تعرف كيف ستنتهي لكنها لعبة قد تكون مخيفة بقدر ما هي لذيذة و السعادة التي تشعر بها الآن ستنقلب إلى جحيم عندما يعودان إلى القصر .. عالم الواقع الذي به ضرتها و حماها و كلاهما لن يسمح لحلمها الجميل بأن يستمر .

لم يكن فهمي نائماً لكنه كان يفكر في السعادة التي يشعر بها و أمينة بين ذراعيه ؛ و كيف سيحميها من كل من سيحاول حرمانه منها و من سعادته .. خاصةً نيفين ..

و فكر في أنه عقيم .. كان هذا سبباً كافياً لينغص عليه عيشه .. أمينة اختارت أن تكون أماً لأولاد أختها الميتة .. تحملت مسئوليتهما و دافعت عنهما و كانت مستعدة لأن تضحي بشبابها و مستقبلها لأجلهما ؛ هي ليست لوحاً من الثلج مجرداً من العاطفة مثل نيفين و الأمومة بالنسبة لها تساوي الكثير ؛ فهل ستتحمل أن يحرمها منها ؟ ..

ربما كان عليه أن يصارحها بهذه الحقيقة قبل الليلة الماضية لكن بما أن الوقت قد تأخر بالفعل قبل أن يفعل

فلا بأس من أن يرجئ لحظة الإعتراف لبضعة أيام أو ربما أسابيع أخرى .. يشعر بأنه قد دخل إلى الجنة على يد أمينة و لا يريد أن يخرج مطروداً منها بهذه السرعة .

رن جرس هاتف أمينة فنهضت بسرعة لأنها لم ترد أن يزعج الرنين فهمي ؛ كان زاهر هو المتصل فكتمت الرنين لكنه اتصل مرةً أخرى لذا لم يكن أمامها سوى أن تتلقى المكالمة ..

جلست على الأريكة و هي تستمع إلى زاهر الذي كان يهتف في لهفة :

- أين أنتِ يا أمنية ؟ .. أحاول الاتصال عليكِ منذ عدة أيام دون جدوى فهاتفك مغلق طوال الوقت .. انتظرت أن تخبريني ماذا فعلتِ مع خليل كما أن شركة الإنتاج ترغب في توقيع عقد الفيلم معكِ ..

قاطعته أمينة و هي تهمس حتى لا توقظ فهمي :

- تريث و اسمعني يا زاهر أرجوك .. أنا لن أوقع عقد الفيلم أو الإعلان أو أية عقود بعد الآن .. اعتزلت المهنة نهائياً و مزقت هذه الصفحة من حياتي تماماً .. تزوجت منذ أيام و زوجي يرغب في أن أقطع صلتي تماماً بعملي القديم و كل من كنت أعمل معهم .

أتاها صوت زاهر يهتف في ذهول :

- تزوجتِ ؟! .. كيف تزوجتِ يا أمنية ؟ .. و متى ؟! .. و من الذي تزوجتيه ؟

همست أمينة في توتر :

- من أو كيف أو متى ؟ .. كل هذه التفاصيل ليست من شأنك و لا من شأن أحد .. قلت لك أنني لم أعد أمنية فتاة الإعلانات .. أنا الآن زوجة .. لم أعد حرة كالسابق و لا أريد أن أخوض في حديث إذا استيقظ زوجي الآن لن يكون سعيداً به .. أرجوك يا زاهر قدر ظروفي و لا تتصل على هذا الرقم مرة أخرى .. أنت تعرف أنني أعتز كثيراً بكل ما فعلته معي .. أنت دعمتني و ساندتني كثيراً كصديق لكنني لا أظن أن زوجي سيرضى على أن تستمر هذه الصداقة فهو لا يريد أن يذكره أو يذكرني أي شيء بعملي القديم .

أتاها صوت زاهر يهتف في عصبية :

- من الذي سرقك مني يا أمنية ؟ .. ألم أكن أنا أولى بكِ من زوجك المجهول هذا ؟ .. عرضتِ عليكِ الزواج كثيراً و ....

قاطعته أمينة هاتفة في عصبية :

- كفى يا زاهر .. بدأ هذا الحديث يخرج عن مداه و أنا مضطرة لقطع الاتصال بكل أسف .

# الفصل السابع عشر

قطعت أمينة الاتصال و أغلقت الهاتف نهائياً قبل أن تدخل إلى دورة المياه ؛ كانت تشعر بأن مكالمة زاهر جعلتها عصبية و متوترة و أملت في أن يجعل الماء الساخن أعصابها تهدأ قليلاً لكنها ظلت متوترة حتى بعد أن ارتدت ثيابها .

عندما عادت إلى الغرفة لم يكن فهمي موجوداً في الفراش و لا كانت ثيابه موجودة في الغرفة فشعرت بالقلق .. خرجت لتبحث عنه و وجدته على سطح اليخت و هو يدخن سيجاراً كوبياً فاخراً فشعرت بالحيرة ؛ لم تكن تعرف أنه يدخن فهي لم تره يدخن من قبل كما أنها لم تعرف كيف اغتسل و ارتدى ثيابه بهذه السرعة بينما كانت هي تشغل دورة المياه .

ألقت عليه تحية الصباح فجذبها فهمي إلى صدره و قبلها في حرارة قبل أن يهتف مبتسماً :

- هكذا تكون تحية الصباح .

تنهدت أمينة في ارتياح ؛ كانت تخشى أن تكون سكرة الليل قد ولت و أتى النهار ليزيح الغشاوة عن عيون فهمي

و يجعله يرى كل الفوارق الكبيرة التي بينهما لكن و الحمد لله لم يحدث هذا ..

ركبت بجواره في سيارته التي انطلق بها إلى القصر ؛ كانت تثرثر في سعادة عن أنها تشتاق إلى رامي و سارة و ترغب في أن تأخذهما إلى زيارة أخواتها كما ترغب في أن يعرف أخواتها أنها قد تزوجت فهم لم يعرفوا بهذا حتى هذه اللحظة رغم التغيير الكبير الذي طرأ على حياتهم .

كان فهمي يسمعها دون أن يعلق ثم هتف فجأة :

- من زاهر يا أمينة ؟

بهت وجه أمينة و قد فاجأها سؤاله ؛ اعتقدت أنه كان نائماً و لم يسمع المكالمة لكن بات من الواضح أن هذا ليس صحيحاً .. همست :

- زاهر زين .. مخرج إعلانات .. نعمل معاً منذ سنين يا فهمي .. هو شاب موهوب جداً و مجتهد و ساعدني كثيراً في الحصول على الإعلانات ؛ أحبه كثيراً كأخ أو صديق لكنه كان يأمل في أن نتزوج .. عرض عليّ الزواج أكثر من مرة لكنني كنت أقول له دائماً أنني لا أفكر في الزواج لذا هو الآن مصدوم لأنني تزوجت بالفعل و بسرعة كبيرة و بدون مقدمات .

هتف فهمي متظاهراً باللامبالاة :

- أظن أنني أعرفه .. أخرج بعض إعلانات المؤسسة المهمة .. شاب وسيم و موهوب و له مستقبل .. لماذا رفضتِ الزواج منه ؟

هتفت أمينة في صدق :

- لأنني فعلاً لم أكن أفكر في الزواج لا منه و لا من غيره .. كيف كنت سأتزوج و في رقبتي عائلة ستحتاج دوماً لأن أنفق عليها ؟ .. ثم إنه كالجميع كان يعتقد أن رامي و سارة أولادي ؛ كيف كنت سأبرر له أنني لا زلت عذراء و ليس لديّ وثيقة زواج ؟ .. و لو أخبرته قد لا يتفهم أنني أم رامي و سارة حتى لو لم أحملهما في أحشائي .. هو أو أي زوج غيره كان سيحب أن يستأثر بي و هذا حقه لكنني لم أكن مستعدة لهذا .. حياتي كانت معقدة بما يكفي و لم أرغب في أن أزيدها تعقيداً .. هل تفهمني ؟

أومأ فهمي برأسه إيجاباً و لم يقل شيئاً ؛ فزفرت أمينة في حرارة قبل أن تهتف :

- ثم إنني لم أحبه .. في حياتي لم أتخيل أنني من الممكن أن أمنح نفسي لزوج لم يملك قلبي كما يملك رقبتي .. كنت أنتظر أن يقول قلبي كلمته أولاً لكنه لم يفعل .. قبل بضع ساعات مضت .

أشرقت ابتسامة واسعة على وجه فهمي الذي أحاطها بذراعه و جذبها إلى صدره و ظل يضمها حتى توقفت السيارة داخل القصر ؛ عندما ذهبت أمينة إلى غرفة رامي و سارة لتطمئن عليهما ذهب فهمي معها و شعرت بالاستغراب عندما أخبر الأولاد بأنه يرغب في أن يسبح معهما في البركة حتى وقت الغداء و هتفت :

- ألن تذهب إلى مكتبك اليوم ؟

داعب فهمي وجنتها و هتف :

- بالإضافة إلى أنني عريس و من الحماقة أن أذهب إلى عملي في يوم الصباحية ياعروسة فإن اليوم أجازة رسمية بسبب عيد الشرطة .. كما أن من المتوقع أن تكون هناك بعض المظاهرات التي تمت الدعوة لها على صفحات الانترنت لذا سأمضي النهار معكما .

تعلقت أمينة برقبته و همست :

- هذا عن النهار ؛ فما هي خططك بالليل ؟

أحاطها فهمي بذراعيه و قبلها بحرارة قبل أن يهتف :

- سأخرج في المساء وحدي .. أريد أن أذهب إلى حمايا العزيز صلاح السيوطي و أتفاوض معه على فض الشراكة بيننا .. أنا لست مستعداً لأن أجمع في عصمتي

بينك و بين أية امرأة أخرى لذا يجب أن أبدأ الآن في حسم الموقف .. و عندما أعود سيكون الليل كله لنا .. اتفقنا .

قضيا اليوم بجوار بركة السباحة ؛ كان يوماً تملأه البهجة و الضحكات حتى أن فهمي و أمينة لم يشعرا بما يحدث في ميدان التحرير قبل المساء عندما منع فؤاد ابنه من الخروج و طلب منه أن ينتظر قليلاً حتى تتضح الأمور ..

دخل فهمي مع أبيه إلى غرفة المكتب و هتف في ضيق :

- أنا لا أفهمك يا أبي ؛ إلى متى ستظل تتجاهل ما أريده و تصر على أن تفرض عليّ ما لا أطيقه ؟ .. شراكتنا مع صلاح السيوطي هو الوحيد المستفيد منها كما أنني لا أطيق ابنته .. و لا أريدها أن تسبب المشاكل .. أنا واثق من أنها ستكيد لـ أمينة و من الممكن أن تؤذيها و هذا ما لن أسمح به أبداً .

هتف فؤاد في هدوء :

- ألم تشاهد نشرة الأخبار اليوم ؟ .. المظاهرات التي اندلعت في التحرير لن تخمد بسهولة .. صحيح أن الأمور هنا لا يمكن أن تصل إلى ما وصلت إليه في تونس لكن هذا لا يمنع من أنه ستكون هناك بعض التضحيات و أتوقع خلال أيام أن يتم حل البرلمان و إقالة الوزارة .

هتف فهمي في حيرة :

- و ما شأننا نحن بالمظاهرات و ما يمكن أن تصل إليه ؟ .. نحن تجار يا أبي .. تجار فحسب .. أنت طوال حياتك لم تشتغل بالسياسة و لم تتقلد منصباً حكومياً و لا حتى عضوية في المجلس المحلي أو مجلس إدارة الغرفة التجارية .. أياً ما كانت الأمور ستستقر عليه فهو لن يؤثر بنا و لا بمصالحنا إلا مجرد تأثير طفيف كباقي اقتصاديات السوق و سيمكننا تعويضه بسرعة .

لوى فؤاد شفتيه و هتف في ضيق :

- لا أعرف كيف تحقق إدارتك للمؤسسة كل هذه المكاسب مع أنك لا ترى أبعد من أنفك .. حماك وزير يا باشمهندس أم أنك قد نسيت ؟ .. هو قد يفقد مركزه في هذه الهوجة و ستتأثر ممتلكات ابنته التي تحت إدارتك لذا لم تعد هذه الشراكة مأمونة الآن و كلما تم فضها بسرعة كلما كان هذا أفضل .

تنهد فهمي في ارتياح شديد و نطق بالشهادة قبل أن يهتف :

- أخيراً و الحمد لله .. تعرف أنني قد جف حلقي و أنا أطالبك بأن نفض هذه الشراكة .. على بركة الله .. دعني أذهب إلى السيوطي الآن و أتفق معه ....

قاطعه فؤاد هاتفاً في حسم :

- أنا اتفقت معه على كل شيء .. نيفين ستتنازل لك غداً عن كل ممتلكاتها و حساباتها المصرفية قبل أن تسوء الأمور أكثر من هذا أما مسألة الطلاق فأنا لن أتدخل بها يمكنك أن تطلقها متى تشاء فهذا شأنك .

قطب فهمي جبينه و هتف :

- لا أفهم .. ستتنازل في مقابل ماذا ؟

استرخى فؤاد في مقعده المتحرك و هتف :

- صلاح لا يرغب بالمخاطرة أو البقاء في القاهرة أكثر من هذا ؛ سيسافر غداً على طائرة خاصة إلى اليونان و أنت معه و ستذهبان من هناك إلى لندن .. لديّ هناك حصة لا بأس بها في مصنع كبير للألومنيوم بالإضافة إلى بضع سندات في البورصة .. ستنقل له ملكية هذا كله بالتوكيل الذي معك و ستنقل لي نيفين ممتلكاتها هنا .. مقصة رابحة لتهريب أمواله للخارج و لنحصل نحن على ممتلكاته بنصف قيمتها السوقية تقريباً .. جهز نفسك للسفر حالاً يا فهمي و لنحمد الله على أن التوكيل الذي معك موثق من الخارجية و لن تجد صعوبة في إتمام الإجراءات .

# الفصل الثامن عشر

استرخت أمينة بين ذراعي زوجها الذي ضمها إلى صدره و أغمض عينيه ؛ لم تكن أمينة تستطيع أن تنام لأن فكرة سفر فهمي في الصباح كانت تفزعها ؛ لا تعرف لما لا تتخيل أن تعيش لبضعة أيام بدونه و هي التي عاشت حياتها كلها خلا عدة أيام مضت بدون أن يكون له وجود بها .

في الصباح لمعت الدموع في عيونها و هي تودعه ؛ قبلها بحرارة و قبل الأولاد و كف أمه التي بكت بشدة قبل أن يطلب من أمينة ألا تغادر القصر وحدها .. استأذنت منه في أن تذهب لزيارة أخواتها و الاطمئنان عليهن و هن وحدهن في هذه الظروف فهتف في حسم :

- اسمعي يا أمينة .. قد تسوء الظروف أكثر من هذا و لا أحد يدري ما الذي سيحدث .. يمكننا استضافة أخواتك هنا في القصر حتى تنتهي هذه الأزمة كما يمكنك إخراج والدتك من المستشفى و إحضارها إلى هنا .. لكن عليكِ تنفيذ هذا اليوم و بسرعة و حرص قبل أن تتفاقم الأمور و أعدك بأنني لن أتأخر .. سيارتي و سائقها سيوصلاني إلى المطار ثم يصبحان في خدمتك .

كانت أمينة قلقة من حماها ؛ كانت تعرف أنه لن يرحب بأسرتها في بيته لكن زهيرة هتفت :

- لدينا استراحة في حديقة القصر يمكنك استضافتهن بها .. هي فسيحة و نظيفة و مؤثثة بأفخر أثاث و ستعشن على حريتهن بها .

عندما عادت سيارة فهمي إلى القصر ركبتها أمينة و ذهبت إلى المستشفى حيث كانت مريم هناك بجوار أمهما المريضة ؛ أنهت أمينة إجراءات خروج أمها من المستشفى و وضعتها في السيارة مع مريم و طلبت من السائق أن يحملهما إلى القصر .

هتفت مريم في قلق :

- و أنتِ يا أمينة ؟

هتفت أمينة بسرعة :

- سيتركني السائق أمام البناية التي بها شقتنا الجديدة و يكمل الطريق بكما إلى القصر ثم يعود ليأخذني أنا و سلا و سما بعد أن أكون قد جمعت معهما ثيابكما و كل ما تحتاجان إليه .. ستقيمن معي في القصر لفترة و أريد أن أتأكد بنفسي من أن التوأم قد حزمتا كل كتبهما و ثيابهما .. تعرفين أنهما قد تنسيان نصف ما تحتاجان إليه كما سأجمع ثيابك أنتِ و أمي .

كانت أطول أربعة أيام في حياة فهمي ؛ لعن نفسه ألف مرة لأنه طاوع والده و خرج من مصر في هذه الظروف دون أن يفكر في مدى صعوبة أن يعود إليها .. أربعة أيام دون أن يتمكن من الاتصال على القاهرة و الاطمئنان على زوجته و عائلته لأن كل الاتصالات و شبكات الانترنت كانت مقطوعة و ما إن وصل إلى القصر حتى ضمته أمه في لهفة و هي تبكي في حرقة .. هتف فهمي :

- اهدئي يا أمي .. أنا هنا .. أنا بخير .. أين أمينة ؟ .. و أين أبي و الأولاد ؟

خرج والده من المكتب و هو يدفع مقعده المتحرك بيديه بينما نزل رامي و سارة الدرج عدواً و هما يبكيان في حرقة و ارتميا في حضنه و هما يهتفان :

- أين ماما ؟ .. لما لم تعد معك ؟

شحب وجه فهمي بشدة و التفت إلى والده هاتفاً :

- ما معنى هذا ؟ .. أين أمينة ؟

هتفت أمه في لوعة :

- لا أحد يعلم يا فهمي .. اختفت في نفس يوم سفرك و لا نعرف أين ذهبت و لا لما ؟

التفت فهمي إلى والده و هتف في غضب :

- أين أمينة يا أبي ؟ .. ماذا فعلت بها ؟

هتف فؤاد في توتر :

- أنا لا دخل لي في اختفاؤها صدقني .. على العكس .. أنا فعلت كل ما في وسعي لأعثر عليها .. أطلقت كل رجالي في أثرها لكن لا أحد منهم استطاع الوصول إلى معلومة مفيدة .. كل ما نعرفه هو أن السائق تركها أمام البناية التي تقطن بها أخواتها ثم عاد ليأخذها فلم يجدها .. حتى أن سلا و سما أنكرتا أنها قد صعدت إلى شقتهما من الأساس .

هتفت زهيرة في لوعة :

- صدق والدك يا فهمي .. نحن يا بني لا نرغب في إيذاءها ؛ و لما نفعل ؟ .. وجودها في حياتك جعلك سعيداً و حتى أنا الكفيفة كنت أستطيع أن أرَ كم تحبها و تسعد معها و أنا و أبوك لا نريد سوى سعادتك .. المشكلة يا بني هي أن الشوارع لم تعد آمنة خاصةً بعد أن انسحبت الداخلية و اختفى رجال الشرطة من الشوارع .. أبوك يحاول احتواء الموقف و التعديات التي تعرضت لها بعض ممتلكاتنا من اللصوص و لكن ...

قاطعها فهمي هاتفاً في ثورة :

- أعرف كل ما حدث يا أمي .. أنا لم أكن في الجب بل كنت في أوروبا .. كل وسائل الأنباء تتناقل أخبار المظاهرات و الاعتصامات و القتلى و الفوضى التي هنا لكن كل هذا لا يهمني ما يهمني هو زوجتي .. أين زوجتي ؟

كان رامي و سارة يبكيان في حرقة ثم انتفضا في ذعر عندما انطلق صوت صراخ و عويل ؛ ترك فهمي الطفلين في حضن أمه ثم اندفع إلى الحديقة و دخل إلى الاستراحة التي يصدر منها الصوت .. ماتت أم أمينة .. قتلها الخوف و الحزن على الفتاة التي لم يعرف أحد إلى أين ذهبت ؛ و لا كيف ستعود ؟ ؛ .. و لا ما إذا كانت على قيد الحياة أصلاً أم لا ؟

قام فهمي بدفن حماته لكنه لم يجد ما يواسي به بناتها سوى أن أقسم بأغلظ الأيمان على أنه سيجد أمينة و يعيدها إلى القصر حتى لو كان هذا آخر ما سيفعله في حياته ..

كان يعرف أن أمينة لا يمكن أن تكون قد اختفت بالصدفة أو أن الفوضى اتي سادت هي التي تسببت في اختفاءها بل كان واثقاً من أن نيفين قد استغلت فرصة غيابه لتنتقم من ضرتها و تؤذيها .

كان فهمي يشعر بالفزع من فكرة أن تكون أمينة قد ماتت لكنه كان يطمئن نفسه بأنها لو كانت قد ماتت فعلاً لما اختفت جثتها لكل هذا الوقت .. كان يوقن من أن اختفاءها مسألة لم تبعد عن يد نيفين كما كان واثقاً من أنها لن تعترف بما فعلته حتى لو أحرقها حية .

دخل فهمي إلى غرفة نيفين بينما كانت تغتسل في دورة المياه ؛ ظل يخرج ثيابها من الخزانة و يلقيها فوق الفراش حتى خرجت إليه ؛ فهتف بها :

- ماذا تفعلين هنا ؟

هتفت نيفين في برود :

- لا زلت زوجتك أم أنك قد نسيت ؟ .

هتف فهمي في حدة :

- زوجتي الوحيدة في مكان لا يعلمه إلا الله و لو تأكدت أن لك يداً في اختفاءها فلن يكفيني أن أدفنك حية ؛ أما أنتِ فلا مكان لكِ في قصري هذا و لا أياً من أملاكي بما في هذا فيلا والدك التي انتقلت ملكيتها لي .. أنتِ طالق يا مدام .

ثم التقط أحد ثيابها من فوق الفراش و ألقاه في وجهها و هو يهتف :

- البسي ثيابك و لا أريد أن أراكِ هنا مرة أخرى .. أمامك دقيقتان فحسب لتفعلي و إلا أقسم بالله على أنني سأكبك خارج هذا القصر و أنتِ عارية .

ارتدت نيفين الثوب بسرعة و هي ترمقه في غضب بينما حزم فهمي ثيابها في حقيبة كبيرة و ألقاها على الأرض و هو يهتف :

- سيحزم لكِ الخدم باقي متعلقاتك .. و عندما تستقرين في مكان سأرسلها لكِ مع السائق لكن إياكِ أن تفكري في دخول قصري مرة أخرى .

# الفصل التاسع عشر

غادرت نيفين القصر و هي تغلي غضباً ؛ ذهبت إلى شقة عاطف الذي كان قد استيقظ من النوم لتوه و كالعادة لم يكن قد أفاق من السكر بعد ؛ حكت له نيفين عما حدث و هي ثائرة فهتف في برود :

- اهدئي .. أبوك و أبي فرا إلى الخارج لأنهما أذكياء ؛ الأمور هنا تزداد سوءاً و يجب أن نلحق بهما .. الثروة المكدسة في مصارف لندن و جنيف ستجعلنا نعيش كالملوك و لم تعودي في حاجة إلى ذلك المغفل و عصاه السحرية التي تحول التراب إلى ذهب .

هتفت نيفين في حنق :

- أنت لا تتخيل كم سيفقد عقله على تلك الحقيرة التي تزوجها عليّ .. تركته في القصر كالمجنون و إذا لم يعثر عليها أو يعرف ماذا حدث لها قد يفقد عقله بالفعل و يكمل حياته في مستشفى المجانين .

قهقه عاطف ضاحكاً في شماتة و التقط زجاجة من الويسكي و هو يهتف :

- إذاً لما أنتِ غاضبة ؟ .. المفروض أن نحتفل يا نوفا فقد انتصرتِ عليه و حققتِ انتقامك و أكثر فكلانا واثق من أنه لن يعثر عليها و لا على جثتها مهما فعل .

التقطت نيفين كأس الويسكي من يده و هي تهتف في قلق :

- هل أنت واثق من هذا يا عاطف ؟ .. أقصد من جثتها هذه .. ربما هي لم تمت بعد .

هتف عاطف في استنكار :

- كيف تكون حية ؟! .. غريمتك محبوسة في قبوٍ مظلم ليس به إضاءة و لا تهوية و لا أكل و لا ماء منذ خمسة أيام كاملة .. إذا لم تكن قد هلكت من الجوع و العطش فلاريب من أنها قد ماتت من الخوف .. لدينا في القبو فئران و حشرات و ربما عقارب و ثعابين .. باختصار وضعناها في القبر و هي حية و لن تخرج منه أبداً إلى إذا خرجت بقايا جثتها ليدفنها ذلك المغفل في مقابر البساتين .

هتفت نيفين في توتر :

- لن أتأكد حتى أرى جثتها بنفسي .. دعنا نذهب إليها حالاً يا عاطف .. أين ذلك القبو بالضبط ؟

هتف عاطف في تذمر :

- في فيلا أبي المهجورة التي في المقطم .. لما لا ندبر ترتيبات السفر بدلاً من إضاعة الوقت في أمور لا طائل منها ؟

أصرت نيفين على الذهاب إلى القبو ؛ لم تكن ترغب في أن تتأكد من وفاة أمينة بقدر ما كانت ترغب في أن ترَ جثتها بعينيها لينطفئ لهيب غضبها و ثورتها لكبرياءها ..

تركت سيارتها و ركبت بجوار عاطف في سيارته التي انطلق بها تحت ظلام الليل رغم حظر التجوال و هو يهتف في سخط :

- لكِ تحكمات غريبة يا نيفين .. ألم يكن من الأولى بنا أن نتشارك الفراش و نحتفل بخلاصك من ذلك الأحمق ؟ .. ألم تشتاقي لي يا نوفا ؟

هتفت نيفين و هي تتلفت حولها لتتأكد من أنه لا أحد يراقب سيارتهما :

- قد و أنت صامت يا عاطف .. سنسافر معاً و سنحتفل كما تريد لكن ليس قبل أن أرَ جثة تلك الحقيرة بعيني .. أنت لا تعرف كيف استولت على قلب فهمي و عقله في ساعات معدودة ؛ لا أعرف كيف سقط لوح الثلج هذا في غرامها بهذه السرعة .

هتف عاطف في ميوعة :

- و من يلومه ؟ .. لم أكن أتخيل أنها جميلة لهذا الحد حتى رأيتها يا نوفا .. بصراحة .. كنت سأستمتع كثيراً معها لو لم تكوني غيورة جداً و أنا لا أحب أن أغضبك .

هتفت نيفين في حدة :

- هي لديك و لا مانع عندي في أن تأكلها لو أردت .. مع أنني واثقة من أن فهمي لو علم بأنك قد لمستها فلن تجد من يلم أشلاءك من ربوع القطر كله ..هذا إذا لم يكن لديك مانع في أن تنام مع جثة .

أوقف عاطف سيارته أمام الفيلا الصغيرة المتهدمة التي تغرق في ظلام الليل ؛ أخرج هاتفه و أضاء الكشاف و كذلك فعلت نيفين و هي تسير خلفه ..

نزلا إلى القبو في صعوبة قبل أن يعيد عاطف سكينة الكهرباء إلى مكانها و يصل التيار فأضاء المكان و استطاعت نيفين أن ترَ باباً فولاذياً ضخماً يأكله الصدأ فتحه عاطف بصعوبة و دفعها برفق لدخول القبو الذي جعلها هواءه العطن تشهق و هي تكاد لا تستطيع أن تلتقط أنفاسها .

وضع عاطف منديلاً على أنفه و فمه و هو يهتف :

- كانت رائحته كالقبر حتى من قبل أن أضعها به .. الكثير من الصناديق و الكراكيب مكدسة هنا لذا علينا أن نتعب قليلاً في البحث عن الجثة .

- دع هذه المهمة لي .

التفت كلاهما إلى فهمي الذي وقف عند باب القبو و خلفه والده و كلاهما يحمل مسدساً و يصوبه نحوهما ؛ احتقن وجه نيفين بشدة و هتفت :

- كيف عرفت مكاني ؟ .. كنت واثقة من أن أحداً لم يكن يتبع سيارتنا .

تراجع عاطف و هو يهتف في ذعر :

- أنا لا ذنب لي .. هي التي أمرتني بهذا .. هي التي ...

لم يكن فهمي يسمع له بل كان يبحث عن زوجته حتى عثر عليها ؛ حملها بين ذراعيه و هو يبكي في لوعة فقد بدت و كأنها بالفعل مجرد جثة ثم التفت إلى نيفين و عاطف و هتف :

- قلت لكِ أنه لو كان لكِ يد فيما حدث لها فسأدفنك حية .. و هذا ما سأفعله .

صرخت نيفين في ذعر عندما غادر فهمي القبو و هو يحمل زوجته بينما أغلق فؤاد الباب عليها هي و عاطف قبل أن يظلم القبو بعد أن فصل فؤاد التيار مرة أخرى و هو يهتف :

- الجزاء من صنف العمل و هذا ما تستحقه تلك الحقيرة و عشيقها فعلاً .. لولا جهاز التنصت الذي زرعته في ثوبها و جعلنا نسمع كل الحديث الذي دار بينهما منذ ذهبت إلى شقته لما اكتشفنا أبداً كم هي حقيرة .

وضع فهمي زوجته على الأريكة الخلفية في سيارته بينما ركب فؤاد بجواره ؛ انطلق فهمي بالسيارة بسرعة و في صمت بينما ألقى فؤاد نظرة على جسد أمينة قبل أن يهتف :

- سامحني يا ابني .. أنا الذي ورطتك في الزواج من الحقيرة التي لوثت شرفك و غدرت بك .. أعرف أن صدمتك بها كبيرة كما أعلم كم أن طعنة الغدر موجعة لكنني أفهم أن حزنك على وفاة أمينة أكبر من هذا كله .. رحمها الله .. كنت قاسياً كثيراً معها و لم أكن أعرف أن عمرها قصير تماماً كالمرحوم أخيك ...

قاطعه فهمي هاتفاً في حدة :

- كف عن الثرثرة يا أبي لأنني أريد التركيز على الطريق و يجب أن نجد أقرب مستشفى بسرعة .. قبل أن أفقد أمينة

.. أمينة ليست جثة يا أبي ؛ أمينة لا تزال حية لكنها في الرمق الأخير و إذا لم نصل إلى المستشفى بسرعة فستموت و أموت معها .. أنا لن أتحمل أن أفقد أمينة بدون أن أفقد حياتي أو عقلي معها و لا أظن أنك ستحب أن تودع ابنك الوحيد في مستشفى المجاذيب كما كانت تتمنى نيفين .

# الفصل العشرون

ثلاثة أيام في غرفة الرعاية المركزة ثم عادت أمينة للحياة ؛ لكنها لم تكن أمينة التي يعرفها الجميع .. كانت فتاة محطمة لا تزال تعاني من صدمة عصبية حادة على إثر تجربة مريعة لا يستطيع أحدهم أن يتخيل تفاصيلها و هي لم تستطع أن تحكيها إلى أحد .

اتفق الأطباء على أنها قد تعرضت للجوع و العطش لمدة طويلة أنهكت جسدها و كادت معها أجهزتها الحيوية أن تتوقف عن العمل ؛ كانت في الرمق الأخير عندما نقلها فهمي إلى المستشفى و هي فاقدة الوعي و كانت قد فقدت الكثير من توازنها العقلي و النفسي بفعل الخوف و الوحدة و ترقب الموت قبل أن تفقد الوعي .

خلال أيام كانت قد بدأت تسترد الكثير من عافيتها حتى سمح لها الأطباء بمغادرة الفراش لكنها ظلت تتناول الكثير من المهدئات التي تركتها ساهمة طوال الوقت ؛ كما ظلت صامتة و لم تكن ترد على فهمي الذي كان يتحدث إليها طوال الوقت لكنها بدت و كأنها لا تسمعه .

قرر فهمي أن عودتها إلى القصر قد تكون أفضل من بقاءها في المستشفى ؛ فقد يواسيها وجود رامي و سارة و أخواتها معها و يخفف عنها صدمة ما مرت به و مرارة التجربة ؛ لكنه لم يكن يدري ماذا سيقول لها إذا سألت عن أمها و كان هذا ما فعلته بمجرد أن دخلت القصر و ضمت رامي و سارة إلى صدرها ..

قاومت مريم دموعها و هي تربت على كتف أختها و تهتف :

- يجب أن تذهبي إلى غرفتك لترتاحي يا أمينة .. أنتِ لا ترين كم أنتِ شاحبة .

نظرت أمينة إلى الدموع التي احتقنت في عيون مريم و التي أخفقت سلا و سما في حجبها فانهمرت على وجهيهما بشدة ؛ و إلى ثياب أخواتها المتشحة بالسواد ثم نظرت إلى رامي و همست :

- أين جدتك ؟

همس رامي في براءة :

- عند ربنا .. لكنها قد تعود يا أمي .. قلت أن أبي قد ذهب إلى السماء لكنه عاد إلينا و هي أيضاً قد تعود ..

بكت سارة و هتفت :

- لكنها ليست في السماء .. قالت لي سلا أنهم وضعوها تحت التراب و أن من هم تحت التراب لا يمكن أن نراهم مرة أخرى .

طلب فهمي من المربية أن تأخذ رامي و سارة إلى غرفتهما كما طلب من أمه أن تظل معهما قبل أن يحيط كتف أمينة بذراعه و هو يهمس :

- البقاء لله يا حبيبتي .. لكل أجلٍ كتاب .

انهمرت الدموع على وجه أمينة الشاحب و همست :

- ماتت بسببي .. أنا قتلتها .

ضمها فهمي إلى صدره و هو يهتف :

- لا تقولي هذا يا أمينة أرجوكِ .. لا تحملي نفسك فوق طاقتها .

همست أمينة في لوعة :

- لكنها الحقيقة .. حب أمنية لأخيك قتل أبي و حبي لك قتل أمي .. لماذا لم تتركني لأموت مثلها ؟ .. أريد أن أموت كما ماتت أمنية ؛ لا أريد أن أعيش و أتعذب بذنبهما وحدي .

حملها فهمي إلى غرفتها و أجبرها على أن تبتلع الأقراص المهدئة و تنام .. لأيام كثيرة تالية كان كل ما تفعله هو أن تتناول أقراصها المهدئة و أن تنام ؛ و بالكاد كانت مريم تستطيع إقناعها بتناول و لو القليل من الطعام و بدا و كأن الاكتئاب هو حالة مزمنة لم يعد بإمكانها أن تتغلب عليها ؛ و لا أحد استطاع إخراجها من غرفتها و عزلتها و صمتها حتى رامي و سارة .

كان فهمي يشعر بتعاسته تزداد كلما عجز عن إخراج أمينة من هذه الحالة و كاد أن ييأس لذا عندما توقفت به سيارته داخل حديقة القصر و لمحها تجلس في انتظاره عند بركة السباحة لم يكن يصدق عينيه .. اندفع نحوها و ضمها إلى صدره بقوة و هو يهتف في حرارة :

- وحشتيني .. لا تعرفين إلى أي مدى .

أحاطت أمينة خصره بذراعيها و استكانت بين ذراعيه ؛ كان وجهها شديد الشحوب كما كانت قد فقدت الكثير من وزنها لكنها كانت تبتسم ..

لأول مرة منذ شهرين كان فهمي يستطيع أن يرَ الابتسامة التي أضاءت وجهها الشاحب فتنهد قلبه في إرتياح و شعر بأن هماً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله قبل أن تهتف أمينة في سعادة :

- لديّ مفاجأة لم تكن لتخطر على بالك .. أنا حامل .

انتفض جسد فهمي بشدة و ابتعد عنها ؛ كان يحدق في وجهها و هو يهمس :

- هل أنتِ متأكدة ؟

كانت تستطيع أن ترَ الصدمة في عينيه و هو يفك رابطة عنقه و يجلس على الأرجوحة ؛ لم يبدُ سعيداً كما تخيلته بل بدا و كأنها قد ضربت رأسه بمطرقة ؛ ركعت أمينة عند قدميه و هي تهتف في سعادة :

- مفاجأة ؛ أليس كذلك ؟ .. أنا أيضاً لم أكن أصدق نتيجة التحليل المنزلي لكنني أعدتها عدة مرات .. من كان يتخيل أن يصبح لدينا طفل بهذه السرعة ؟ .. أنا لم أفكر قط في أنني قد يكون لي طفل غير رامي و سارة و لكنني سعيدة .. أنا لا أعرف كيف أصف لك كم أنا سعيدة .. سيكون لي ابناً منك .. أخ أو أخت لـ رامي و سارة .. هذا أجمل ما حدث لي في حياتي .

صمتت فجأة و هي تتأمل الدموع التي احتقنت في عيون فهمي .. لم يكن يبكي من فرط السعادة بل بدا و كأنه يتألم بشدة .. همست أمينة في حيرة :

- ألست سعيداً ؟

لم يعرف فهمي ماذا يقول لها .. مسح بيده على شعرها و همس :

- خرجتِ من غرفتك و ابتسمتِ و تتكلمين معي لأول مرة منذ شهرين ؛ بالتأكيد أنا سعيد يا حبيبتي .. كنت مستعداً لأن أدفع نصف عمري و أرى ابتسامتك مرة أخرى يا أمينة .

جلست بجواره و وضعت ذراعها على كتفه و مالت نحوه و هي تهمس في قلق :

- لكنك لست سعيداً بحملي .. ألا تريد أن يكون لنا أولاد غير رامي و سارة ؟

لم يعرف كيف يخبرها بأنه قد يموت بحسرته إذا اكتمل هذا الحمل و أصبح طفلاً من لحم و دم ؛ يحمل اسمه و يكبر في حضنه .. همس في تردد :

- أنتِ مريضة و ضعيفة يا أمينة .. جسدك لم يتعافى بعد و لا زلتِ تتعاطين الكثير من المهدئات و هذا لا يتناسب مع مشقة الحمل .. دعينا .. دعينا نتخلص من هذا الحمل يا أمينة .. أرجوكِ .

لمعت الدموع في عيونها و ابتعدت عنه ؛ يعرف أنه قد صدمها بشدة و أن ما يقوله لها يجرحها و يبدد فرحتها و لم يكن هذا ما تنتظره منه لكنه كان أهون الأمرين فهو

لم يكن يستطيع أن يصارحها بالحقيقة التي لن تتحملها أو ربما تعيدها إلى ما كانت عليه و ربما أسوأ .. بدأت تستعيد نفسها و تتجاوز انهيارها أخيراً و لا يمكن أن يحطمها بألم لن تستطيع أن تتحمله .

همست أمينة في لوعة :

- هل تريد أن نقتل ابننا ؟ .. لا أصدق .. أنت لا تحبني .. لو كنت تحبني لما كرهت أن يكون لك ابنٌ مني ..

قاطعها هاتفاً :

- بل أحبك يا أمينة .. لا تعلمين كم أحبك .. لكنني لا أريد هذا الجنين .. لا زال الأمر في يدنا و نستطيع أن نتخلص منه .. صدقيني يا أمينة .. هذا لصالحنا معاً و ما يجب أن نفعله قبل فوات الأوان .

# ***الفصل الحادي و العشرون***

اندفعت أمينة تجري نحو القصر و الدموع تغرق وجهها ؛ كان فهمي يندفع خلفها و هو يحاول أن يتحدث معها و يخفف عنها صدمتها به .. لم تكن تريد أن تسمعه و هو يهتف :

- انتظري يا أمينة أرجوكِ .. يجب أن تسمعيني .

خرج فؤاد من الغرفة و رامي في يده ؛ لم يكن يجلس على مقعده بل كان واقفاً على قدميه و هو مكفهر الوجه .. خرجت زهيرة من غرفة المكتب خلفه و سمعته و هو يستوقف فهمي و أمينة هاتفاً :

- تعالى يا فهمي .. و أنتِ يا أمينة .. ما الكلام الغريب الذي يقوله رامي عن الأخ الذي سيأتي ؟ .. ما معنى هذا الهذيان ؟

توقفت أمينة عن صعود الدرج بينما التفت فهمي إلى والده و هتف في توتر :

- أرجوك يا أبي .. سأشرح لك كل شيء لكن ليس الآن .. أعصاب أمينة لا تزال هشة و أنت تعرف هذا و ...

قاطعه فؤاد هاتفاً :

- بل يجب أن تجيبني الآن .. هل أمينة حامل فعلاً ؟

بهت وجه فهمي و لم يستطع أن يجيب فهتفت أمينة :
- بلى يا عمي .. أنا حامل .

شهقت زهيرة في فزع بينما أشار فهمي إلى رامي بالذهاب إلى غرفته ؛ بينما هتف فؤاد في حدة :
- مِن مَن ؟

احتقن وجه أمينة بشدة و نزلت الدرج و اقتربت من فؤاد و هي تهتف :
- ما معنى مِن مَن ؟ .. من زوجي طبعاً أم أنك لا تلاحظ أنني زوجة ابنك .

هتف فهمي في توسل :
- أرجوك يا أبي .. لا داعي لهذا الحديث الآن .

التفتت أمينة إلى فهمي و هتفت في حدة :
- لماذا ليس الآن ؟ .. أبوك منزعج من حملي و أنت مصدوم و الهانم أمك تكاد أن تفقد الوعي .. ما بالكم جميعاً ؟ .. آه نسيت .. لن يحب فؤاد باشا الجبلاوي أن تصبح فتاة الإعلانات أم أحفاده لكنه مضطر لأن يقبل بأن يكون كل أحفاده أبناء لفتاة الإعلانات .

هتف فؤاد في ثورة :
- هذا ليس حفيدي .

بهت وجه أمينة و همست :
- ماذا تعني ؟ .. هل تتهمني ؟

اقترب فهمي منها و أمسك ذراعها برفق و هو يهتف :
- تعالي أصحبك إلى غرفتك يا أمينة .. يكفي لهذا الحد أرجوكِ .

نظرت أمينة إلى فهمي في ذهول قبل أن تهمس في ألم :
- ألهذا ترغب في إجهاضي ؟ .. ءلأنك أنت أيضاً تتهمني ؟

سحبت أمينة ذراعها من يد فهمي و ابتعدت عنه و الدموع تنهمر على وجهها في لوعة ؛ كان آخر ما يمكن أن تتوقعه منه أن يتنكر لحملها و يطعنها في شرفها .. همست :
- طلقني .

شحب وجه فهمي بشدة و هتف :
- مستحيل يا أمينة .. أنتِ تعرفين كم أحبك .. دعينا نتجاوز هذه المحنة معاً أرجوكِ .

هتف فؤاد في ثورة :

- هل فقدت عقلك ؟ .. طلقها حالاً .. ما كان لك أن تتزوج هذه العاهرة من الأساس لكنك أرعن و لا تسمع لي .

هتفت زهيرة في ضيق :

- كفى يا فؤاد .. حرام عليك .. البنت كانت مخطوفة و هذا ليس ذنبها .. لا تحملها و تحمل ابنك فوق طاقتهما ؛ يكفي ما تحملاه بالفعل .

بالكاد كانت أمينة تسمع صوت زهيرة قبل أن تسقط بين ذراعي فهمي فاقدة الوعي ؛ حملها فهمي إلى غرفتها و اتصل على الطبيب الذي لم يطمئنه عليها بل على العكس .. قال أن حالتها تزداد سوءاً و يجب أن تظل تحت الملاحظة طوال الوقت حتى لا تؤذي نفسها أو تتخلص من حياتها .

عندما استعادت أمينة وعيها كان فهمي جالساً بجوار فراشها لكنها أشاحت بعيونها عنه و ظلت تبكي في صمت ؛ نهض فهمي من مقعده و جلس في الفراش بجوارها و هتف في أسى :

- أنا آسف يا أمينة .. لم أتخيل أن تتحملي كل هذا بسببي يا حبيبتي .. نيفين نكلت بكِ انتقاماً مني .. لو أنني وضعت حداً لها و نزعتها من حياتي قبل فوات الأوان لما منحتها

الفرصة لتعذيبك .. أنا أحبك يا أمينة .. صحيح أنني قصرت كثيراً في حمايتك لكنني أطمع في أن تسامحيني .

همست أمينة في لوعة :

- أسامحك على أنك أنكرت ابني ؟ .. ابننا .. لو كنت تحبني كما تقول لصدقتني .. في حياتي لم يلمسني رجل سواك .. أقسم لك .. لو كانت لديّ ذرة شك واحدة في أن هذا الجنين ليس ابنك لقتلت نفسي ؛ و لو كانت لديك ذرة شك واحدة في أن رجلاً غيرك قد لمسني اقتلني .. اقتلني أنا و ابنك .

همس فهمي في مرارة :

- أنا عقيم يا أمينة .. مستحيل أن يكون هذا الحمل مني .

انهمرت الدموع على وجه أمينة و هتفت :

- لا .. لست عقيماً و أراهن على هذا بحياتي ؛ لكن هذا آخر ما بيننا يا فهمي .. طلقني .

حاول فهمي أن يمسح دموعها ؛ حاول أن يقنعها بصدق عواطفه نحوها ؛ لكنه لم يستطع أن يفعل هذا و لا ذاك .. عقارب الساعة لا يمكن أن تعود للوراء و هو لم يكن يستطيع أن يمحو الوجع من قلبها كما لم يكن يستطيع أن يمحو من عقلها مرارة الذكرى و كأن شيئاً لم يكن .

تركها فهمي على أمل أن تهدأ أو أن تنام و غادر القصر ؛ ظل يدور بسيارته في الشوارع على غير هدى حتى منتصف الليل قبل أن يعود إلى غرفة زوجته التي وجدها خالية إلا من ورقة تركتها على الفراش و قرأ بها :

- اضطررت أن أهرب لأحمي ابنك .. فؤاد الجبلاوي لن يسمح بأن يكتمل هذا الحمل و أنا لست مستعدة لأن تجمع أشلائي من تحت عجلات سيارة .. تركت رامي و سارة أمانة في رقبتك كما أن ابنك أمانة في رقبتي .. حاول أن تحافظ عليهما و أعدك بأنني سأحافظ عليه .. سامحني إذا كنت قد خذلتك و سأحاول أن أغفر لك أنك قد ذبحتني .. حبيبتك أمينة .

# ***الفصل الثانى و العشرون***

زفر فؤاد في حرارة و هو يقف في شرفة غرفة نومه يتأمل ابنه الجالس عند بركة السباحة كالعادة مع أن الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً .. ستة أشهر كاملة قد مرت منذ أخذت أمينة أخواتها و غادرت القصر إلى وجهة لا يعلمها إلا الله و لا زال فهمي يبحث عنها كالمجنون في كل مكان دون جدوى .

دخل فؤاد إلى الغرفة و وجد زوجته لا تزال مستيقظة فهتف في ضيق :

- ألم تنامي بعد ؟

هتفت زهيرة في لوعة :

- كيف أنام و ابني يتعذب ؟ .. حرام عليك يا فؤاد .. الولد سيفقد عقله ؛ كيف تتحمل أن تراه و هو في هذه الحالة ؟ .. قل له أين يجد أمينة ؛ أعدها إليه ليرتاح قلبه .. أرجوك يا فؤاد .. أتوسل إليك .

هتف فؤاد في صرامة :

- ليس بعد .. ليس قبل أن أتأكد من أن الجنين الذي تحمله في أحشاءها هو حفيدي و من صلب ابني .. أنا لن أفتح

أبواب قصري لأولاد الحرام .. اضطرتني الظروف لأن أقبل بوجود رامي و أخته لأنهما من دمي لكن ذلك الجنين قد لا يكون حفيدي و من المستحيل أن أقبل بأن يعيش في بيتي أو أن يحمل اسم ابني .

هتفت زهيرة في استنكار :

- ابنك متأكد من أنه ابنه .. حتى من قبل أن يعيد التحاليل و يتأكد من أنه سليم معافى و لا مشكلة لديه تمنع الإنجاب .. لماذا ترمي زوجته بالباطل و تصمم على تعذيبها و تعذيبه ؟

استلقى فؤاد في الفراش بجوارها و هو يهتف :

- أمينة كانت عاقلة و قبلت بالحل الوسط الذي عرضته عليها .. أبعدتها عن القصر حتى تلد و تثبت التحاليل صحة نسب الوليد لي و لابني .. إذا كانت صادقة فلا مانع لديّ في أن أعيدها إلى بيتي معززة مكرمة ؛ أما إذا كانت تتلاعب بابني فسأفعل ما كنت سأفعله لو أنها لم تقبل بما عرضته عليها .. سأدفنها مع نيفين و عاطف في نفس القبر .

لم يكن فهمي لديه و لو ذرة شك واحدة في أن والده له يد في اختفاء أمينة ؛ لكنه كان يعتقد دوماً في أنه الدافع الرئيسي الذي جعل أمينة تهرب من القصر و تخرج من

حياته .. بقدر ما كان يفتقدها و يشتاق إليها بقدر ما كان يؤلمه أنها لم تثق في أنه يستطيع أن يحميها حتى لو وقف أمام والده و أمام الدنيا كلها .. يعرف الآن كم وجعها بإتهامه لها و لكن للأسف بعد فوات الأوان .

في كل ليلة كان فهمي يجلس عند بركة السباحة و هو يتذكر الفتاة التي وقع في غرامها ربما من قبل أن يراها ؛ يحلم بأنه قد يعثر عليها ذات يوم و يعيدها إلى بيتها و تعيد إلي قلبه الروح التي انتزعتها معها و هي ترحل عنه ..

كان يتحمل عبئاً ثقيلاً و هو يحاول أن يدير الأمور في مؤسسته دون أن تنهار تحت وطأة الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة عقب انتهاء نظام مبارك و تردي الأوضاع الاقتصادية و الأمنية الذي أثر على الجميع سواء في هذا أصحاب رؤوس الأموال الضخمة أو المعدمين ..

لم يكن يسمح لنفسه بأن ينهار تحت وطأة خسارته لزوجته و ابنه الذي لا يزال في أحشاءها لأنه كان يعرف أن كثيراً من الناس يعتمدون عليه في إدارة المشروعات التي يعملون بها و يكسبون منها أقواتهم و أرزاق عوائلهم .

في الصباح استيقظ فهمي ليكتشف أنه قد غفا فوق الأرجوحة و ليفاجأ بأن والده قد مات .. حاولت زهيرة أن توقظه لكنها وجدته قد لفظ أنفاسه الأخيرة .. توقف قلبه العليل عن النبض أثناء نومه و انتهت حياته في هدوء و سلام ..

هكذا وجد فهمي نفسه حراً أخيراً من جبروت والده لكن تلك الحرية لم يعد لها معنى بعد أن وضعه فؤاد في المدار الذي سيظل يلف به لآخر عمره و لن يستطيع تغييره حتى لا تنهار الثروة التي شيدها فؤاد و العائلة التي تركها أمانة في رقبة ابنه .

ارتمى فهمي جالساً على الأريكة و فك ربطة عنقه و هو يزفر في حرارة ؛ كانت مراسم الدفن و العزاء طويلة و مرهقة و تركته منهكاً و يتوق إلى النوم بشدة لكنه لم يستطع أن يفعل .. كان عليه أن يواسي أمه التي ظلت تبكي في حرقة و كذلك رامي و سارة .. لم يكن فراق جدهما يحزنهما كثيراً فقد اعتادا على فراق الأحباب عندما اختفت من حياتهما أمهما بدون كلمة وداع واحدة و معها مريم و سلا و سما و من قبلهم جدتهم أم أمينة ..

بدا و كأن رامي و سارة قد كبرا كثيراً عن سنوات عمرهما الستة حتى أن فهمي كان يتساءل في كل لحظة

متى تعود أمينة و تعود معها البهجة إلى هذا القصر و إلى حياتهم كلها .

ضم فهمي أمه إلى صدره و ربت على ظهرها و هو يهتف في حنان :
- تماسكي يا أمي و ادعي له بالرحمة .

كانت الأم تبكي في حرقة و هي تهتف :
- أريدك أن تسامحه يا فهمي .. هو الذي أبعد أمينة عنك لكنه كان يفعل هذا لصالحك .. على الأقل هذا ما كان يؤمن به .

شحب وجه فهمي و همس في ذهول :
- ما معنى أنه أبعدها عني يا أمي ؟ .. هل لأبي يد في هروب أمينة ؟

ثم اتسعت عيونه و هو يردف في ذعر :
- ماذا فعل بها ؟ .. هل أذاها ؟ .. أمينة حية يا أمي ؛ قولي أنها لا تزال حية أرجوكِ .

حاولت الأم أن تمسح دموعها و هي تهتف :
- اطمئن ؛ أمينة بخير .. أبوك لم يرد أن يخبرني أين يتحفظ عليها لكنها بخير .. أنا واثقة من أنك لو بحثت بدقة في

العقارات التي نملكها فستجدها حتماً في أحدها .. عموماً كان يتصل بها دوماً ليطمئن عليها .. قد تجد رقمها على هاتفه .

اندفع فهمي إلى غرفة نوم أبيه حيث كان الهاتف هناك بجوار فراشه ؛ ما إن التقطه فهمي حتى وجد رنات كثيرة أتت من نفس الرقم طوال النهار و لم يكن الرقم مسجلاً لذا أسرع يتصل عليه و انتفض قلبه في قوة عندما أتاه صوت مريم و هي تهتف باكية :

- أين أنت يا فؤاد بك ؟ .. أمينة كانت تحتضر و لم أعرف كيف أتصرف .. أنا ...

قاطعها فهمي هاتفاً في لهفة :

- أين أنتم يا مريم ؟ .. أين أمينة ؟

ترددت مريم للحظة عندما تعرفت على صوت فهمي قبل أن تهتف :

- نقلتها إلى القصر العيني .

اندفع فهمي يغادر الغرفة و القصر و مريم لا تزال تتحدث معه على الهاتف .. شرحت له أن أمينة ظلت طريحة الفراش طوال الأشهر الماضية ؛ حالتها النفسية المتردية كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم لكنها ظلت تخشى الاتصال

عليه لأنها كانت تخشى أن يؤذيها فؤاد أو أن يفعل شيئاً يحرمها من جنينها .

عندما وصل فهمي إلى المستشفى كانت مريم تقف في انتظاره و هتفت :

- أمينة تتوجع بشدة و يقولون أنها يجب أن تدخل إلى غرفة العمليات لأن حالتها حرجة ؛ و أن ولادتها الآن خطيرة جداً لأنها لا تزال في الشهر الثامن .. يحتاجون إلى توقيع الزوج على الأوراق حتى يمكنهم إخضاعها للجراحة .

وقف فهمي أمام غرفة العمليات و هو ينتفض ؛ كان قد وقع الأوراق و رأى أمينة للحظة واحدة و هم ينقلونها إلى غرفة الجراحة و قد كانت فاقدة الوعي .. فكرة أن يفقدها الآن و بعد أن عثر عليها أخيراً كانت مرعبة و جعلته يكاد أن يفقد عقله و لم يهدأ إلا عندما كانت تستعيد وعيها بعد الجراحة .

عندما فتحت أمينة عيونها في ضعف كانت تستطيع أن ترَ فهمي لكنها لم تكن واثقة من أنها تراه فعلاً ؛ مدت يدها لتلمس الدموع الدافئة على وجهه فأمسك فهمي كفها و قبلها بحرارة و هو يهتف :

- حمداً لله على سلامتك يا أمينة .. وحشتيني .. وحشتيني و عذبتيني .. و منحتيني أجمل ما في حياتي يا أم فؤاد و فريد .

حاولت أن تتكلم لكنها كانت منهكة ؛ فمسح فهمي بيده على رأسها في حنان و هتف في صدق :

- لا تقولي شيئاً يا حبيبتي .. لدينا العمر كله لنقول به كل ما نريد قوله لكنكِ يجب أن ترتاحي الآن .. لديّ الكثير لأصارحك به يا أمينة .. أريد أن أخبرك كم أحبك .. و إلى أي مدى عذبني بعدك عني .. و كيف كنت سأفقد عقلي في غيابك .. أريد أن أعتذر إليكِ عن كل العذاب الذي قاسيتيه بسببي .. و أشكرك على الأمانة التي حافظتِ عليها لأجلي .. و أطمئنك على الأمانة التي تركتيها عندي .. و قبل كل هذا أريد أن أعدك بأنني أبداً لن أتركك وحيدة بعد الآن .. و أنني سأظل أحبك و أرعاكِ و أحميكِ و أعوضك عن كل ما قصرت فيه نحوك .. من الآن .. و حتى آخر العمر .